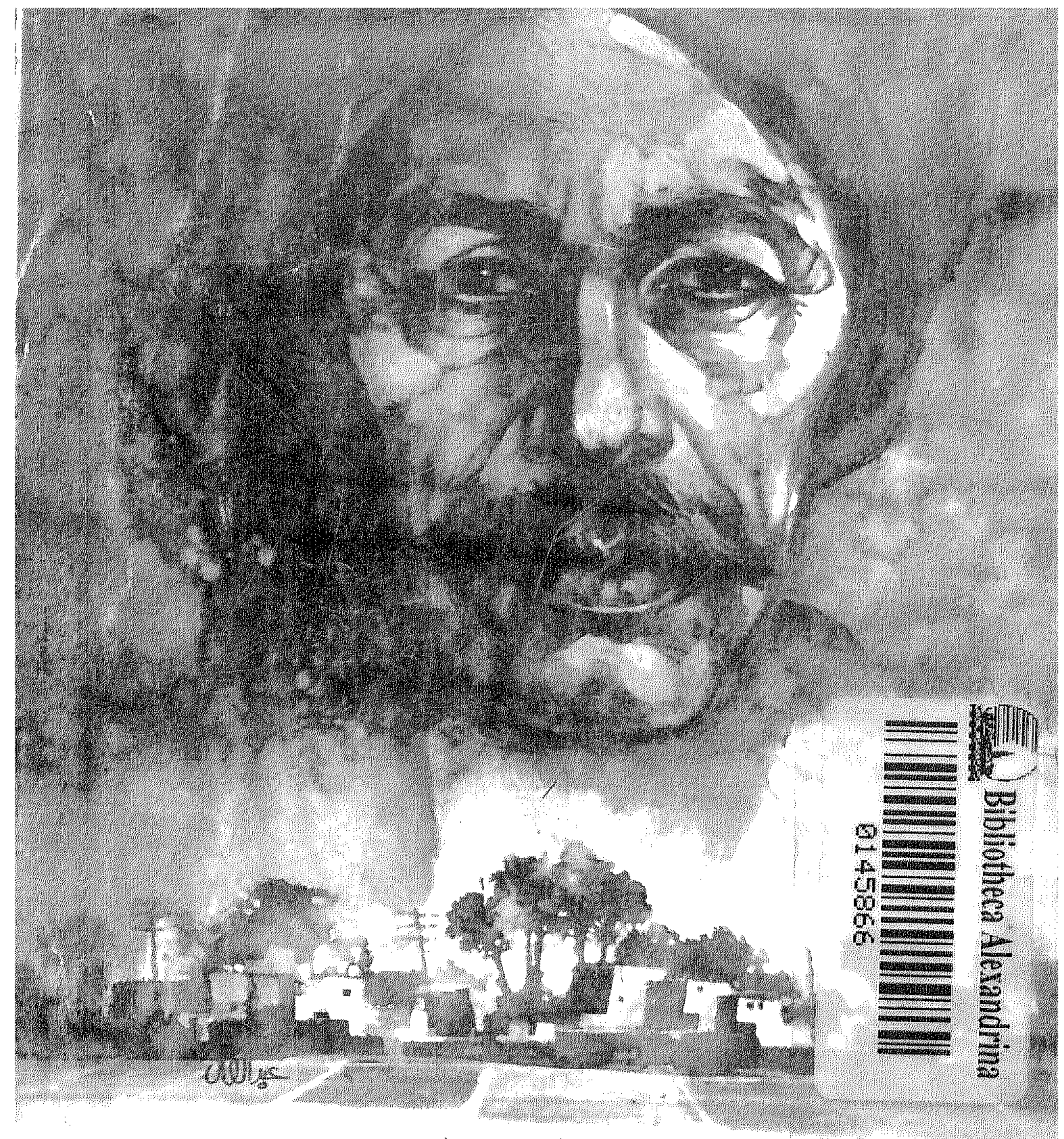


أحلام في الظهيرة

ثروت أباظه

مكتبة غريب

احلام فى الظهيرة

ثروت أباظه

أحلام في الظهيرة

مكتبة غريب

— ١ —

حين كـان الزمان مثل الموسيقى الحـالمة الهـادئة وكان الناس فيه انغاما ساجية حـالمة . ذلك الزمان الذى لم نره نحن وانما هو بالنسبة الينـا روايات عن الآباء تلقفوها عن الأجـداد فاصبحنا ولا نعرف عنه الا مبـاهجه ومتعته ، الجلسة الهـادئة المليئة بالسعادة والضحك والهناء ، فالأجيال جميعا تحب ان تنظر الى امس الغارب وتكره الحاضر وما تشهده فيه من صراع وتخشى المستقبل الذى تطل عليها بواكيره مكشرة الأنياب رهيبة السمات .

ذلك الزمان البعيد عنا هو أحب الأزمان علينـا لأننـا لم نشهده ولا نستطيع أن نعرف منـه الا ما حلا للأجـداد أن يرووه لأبنائهم الذين هم آباؤنا ونقله الينـا الآباء سعداء بمـا ينقلون مقارنين دائما بين الخير الذى كان يشيع فى جوانبه والشر الذى يفشو فى الزمان الذى يعيشون فيه . وهكذا أصبح شأننا نحن أيضا لا يختلف جيلنا الحاضر عن اجيالنا السابقة فاصبحنـا ساخطين نحن نفوسنا الى هذه الحلاوة من الزمن التى كنا فيهـا.

بلا مسئولية وبلا صراع وكان اباؤنا يحملون عنا العبء جميعا ونحن نتصور ـ كما يتصور ابناؤنا اليوم ـ أن عليهم أن يحملوا العبء وعلينا نحن أن نسعد وعليهم هم أن يحبونا وعلينا نحن أن نحترمهم فقط ثم لا نصنع شيئا من بعد ·

فى ذلك الزمان البعيد بدأت أسرة وهـدان تتكون · وكان راس الأسرة طفـلا بريئـا فى الملعب يلهو مع اترابه من الأطفـال لا فارق ثمة بين طفل وطفلة ولا بين قادر بسط الله الرزق لأبيه وبين معسر قدر الله سبحانه ـ لحكمة لا يعلمها الا هو ـ الرزق على ذويه · فى ذلك الزمان كان وهدان يحب نبوية ذلك الحب الطفل الطيب الذى لا يعنى عند أى منهما الا خفقة فى القلب وفرحة عند اللقاء وشوقا عند التباعد ·

وحين شب كلاهما عن الطفولة الى الصبا القريب من الفتوة احتجبت نبوية ولم تصبح الحيـاة كلها لعبا عنـد وهدان · بل كان يحلو له أن يتشبه بالرجال ويقف فى الجرن ويرقب النورج أو يركبه · أو يقف فى الغيط يجمع القطن أو يرقب من يجمعونه · وما كان أبوه غنيا ولم يكن أيضا معسرا وانما هى أربعة افـدنة تنأى بأبيه عن الأجراء لتضعه فى مصاف الملاك ·

ولكن الحقيقة مع ذلك تبقى كما هى أربعة فدادين ·

كانت الشمس ساخطة على الأرض ، تكويها بشواظ لاهب من النار ، وكان النورج يدور وقد أوشك هو الآخر أن ينبجس العرق من خشبه أو من عجلاته الصلبة الحادة وهى تمر فى دائرة مفرغة على عيدان القمح فى ملالة وضيق يجرها الثور الكبيـر وقد أوشك أن يتهاوى من شدة الحر · وكان وهدان يعتلى صهوة

الدكة الخشبية التى يجلس اليها من يسوق الثور وبيده سوط مفتول من لحاء اشجار التيل الذى يزرعونه حول حقول القطن ليرد عنها عادية الأترية وعدوان الحيوان ٠

وكان يدرى أن الجرن الذى يتلبس فيه ملابس الرجال ذوى الأعمال هو الطريق الطبيعى لسير نبوية ٠ وكانت هى ايضـا تعلم ذلك فكانت تظل فى هذا اللهيب من الحر رائحة جائية تتظاهر بانها تؤدى مطالب المنزل وعلم الله وأحسب أن وهدان ايضا كان يعلم أنها لا تكثر من المرور الا لتلتقى نظراتها بنظراته وتطفو الى شفاه كل منهما تلك الابتسامة الوادعة الحنون التى يخفق لهـا القلب ذلك الخفق الدؤوب الجديد المرتفع الوجيب المتخافت الصوت حذر أن يطلع عليه من شهود اللقاء أحد ٠

كانت حياة وهدان منذ البواكير الأولى من سنوات عمـره حياة جادة حازمة كلها عمل ٠ وربما كانت سنوات الكتاب التى تتسم بعنف المعلم وصعوبة العلم بالنسبة لوهدان هى أندى هذه السنوات واخفها وطأة عليه لو كان من هـؤلاء الـذين يرون فى العمل جهـدا وشقاء ٠ ولكنه كان من الذين يحبون أن يعملوا ٠ ولا يقومون العمل ان كان ممتعا أو غير ممتع ٠ وانمـا هو عمل ولابد أن يؤدى فهو يؤديه كما يتنفس الهواء ويطعم الطعام ٠

ولم يكن جلوسه على النورج فى هذه السن الباكرة لعبـا شأن رفاقه من الصبية ٠ فما هى الا أيام قليلة ركب فيها النورج لهوا ومراحا ثم سحب أبوه المكلف بادارة النورج ، ووجهه الى أعمال أخرى وترك النورج بكل ما يتصل به من أعمال عهدة فى ذمة وهدان ، فهو الذى يجمع أكوام التبن والقمح ويمد النورج

بزاده الجديد من أعواد القمح ذات السنابل حتى اذا مالت الشمس الى منزلها من العصر توجه الى كوم القمح رجلان أو ثلاثة أشداء ليذروا الأكوام فينفصل القمح عن التبن بنفس الوسيلة التى كان يتبعها أجدادهم وأجداد أجدادهم منذ عرف الانسان القمح كوسيلة لصنع العيش ٠

ومرت الأيام ٠ وأوشك موسم الحصاد أن ينتهى وبدأت المخاوف تساور الصبيين اللذين التقيا بشبابهما مع انسام القمح أن يصبح اللقاء بينهما غير ميسور ٠

وكانت الشمس فى السماء حريقا وكان النورج يدور دورات كان وهدان فى غير حاجة اليها ولكنه يديره ليجد عند نفسه أو عند المارة عذرا ينتظر به مرور نبوية حتى اذا مرت قفز من النورج قفزة سريعة ملهوفا يريد أن يظفر منها بوعد على اللقاء ولكن مسمارا فى النورج يمسك بجلبابه فاذا وهدان تحت النورج واذا الأسلحة تبتر ذراعه الأيسر أو تكاد وترى نبوية ما حل بحبها وتصرخ بأعلى صوت لها فيدوى صراخها فيملأ أنحاء القرية وتجرى الى وهدان الذى فقد وعيه فتبعده عن النورج وتعمد الى خمارها وتسد به نوافير الدماء المندفعة من الذراع وتحتضن الفتى فى لوعة وتصرخ لا يعنيها أن يراها الناس ، ويقبل الملأ من كل حدب وينقلون وهدان الى حلاق الصحة وتلازمه نبوية لا تتركه ويضطر أبواها اللذان جاءا مع الجموع أن يلازماها مدركين ما ينفطر به قلب الابنة ٠

وحين تطمئن الجموع على حياة وهدان ينصرف كل الى شأنه الا نبوية ٠ ويقول الأب لزوجته وابنته :

ـ اذهبا انتما فاننى سابقى

ولا يدرى احد او لعل كـل محب يدرى من اين اسـتطاعت نبوية ان تاتى بكل هذه الشجاعة التى تجعلها تقول لأبيها فى حسم قاطع لا يقبل المناقشة :

ـ انا سابقى يا ابا ..

ويخشى الأب ان يجاوز النقاش ما بلغه من حسم فيتفضح من حب الفتاة الطاهر ما ينبغى ان يظل فى طى الكتمـان ويقول فى استسلام :

ـ ونبقى نحن ايضا ..

ومع انسام الفجر تنقطع آهات وهـدان التى ظلت تدوى طوال الليـل وتوقظ نبوية التى لم تنم اباهـا وامها من نومهمـا الجالس ويتجه ثلاثتهم الى بيتهم .



— ٢ —

أى تحد تلبس وهدان منذ ذلك اليوم ٠ كان يعرف نفسه طفلا لاهيا اذا دعاه الرفاق الى اللهو ٠ وكان يعرف نفسه أيضا يقبل على العمل مع أبيه كلما دعاه أبوه الى ذلك العمل ٠ ولم يكن يعرف فى نفسه أن اقباله على العمل ما كان الا ليستجلب الى كيانه وجوانحه ذلك الشعور بأنه بلغ مبالغ الرجال ٠ وانه يستطيع أن يقوم بعملهم ويسير طريقهم ويختط فى الحياة خطتهم ٠ وانه بذلك يستطيع أن يحدث نبوية وكأنه رجل ٠ وانه خف القطن مع أبيه وانه جمع مع الجامعين وانه فى موسم الذرة يفرط ثمارها عن كوالحها وانه فى موسم القمح يدرسه كما رآته ٠ كان يحب أن يصنع هذا الصنيع ولم يكن يدرى انه يحب ذلك جميعه لينشىء منه حديثا مع نبوية فى أمسيات الصيف وبمشهد من الحقول ومن أشجار الكافور والعبل ومع روائح الزروع ومع أنسام العبق الالهى تسرى فى خفايا الليل بكرا دائما كأنها لأول مرة تنطلق الى أرجاء الحياة ٠٠

وحين اصابه هذا • الذى اصابه واصبح بذراع واحدة ظل طوال فترة علاجه يفكر •• ايصبح عاجزا •• ايثير الشفقة كلما وقعت عليه عين •• ايكون فى الحياة انسانا ناقصا •• لا امل من بعد فى نبوية •• ولكن ماذا بعد •• ان تلك وحدها كارثة الكوارث اجمعين ولكنها حصلت •• وقعت •• بترت ذراعه •• ايصبح على الحياة عالة •• ايفقد نبوية ويفقد كرامته فى وقت معا • لترين منى الايام ما لم تتوقعه منى حين كنت صحيحا بل وما لا تتوقعه من صحيح آخر مهما تكن قوته وجبروته •

لأكونن اشد عنفا عليها مما عنفت به على •• فتى كان فى اول عهده بالفتوه ينام فى سريره ليعالج فى ذلك الزمان البعيد كل البعد عن زماننا اليوم •• والأيام تتطاول به والمرض جائح باتر والدواء بدائى يحبو مايزال فى ظلمات دوامس من الجهل والتأخر ••• ماذا يصنع الفتى اذا لم يتوعد الحياة ويهددها ••• وما البأس عليه وهو نائم والحياة كلها يقظة ودأب وعمل وكدح

ولكن نبوية تعوده كل يوم •• فما له اذن يقطع ان الأمل فى الزواج بها قد انقطع ؟ وماله يجعل فقدانها امرا لا مفر منه ولا شك فيه ولا سبيل اليه • والعجيب العجيب انه كان يكره زيارتها وان كان قلبه يعلو به الوجيب طوال الفترة التى تستغرقها الزيارة • وكان يرى فى عينى امه وابيه علامات تعجب فقد كان الفتيان والفتيات يزوجون فى مثل هذه السن فى هذه الأيام فما لهذه الفتاة لا تقنى حياءها وما لها تصر على زيارة فتى بترت ذراعه ويصلح لها عريسا • اتظن انه مادامت ذراعه قد بترت فهو لن يتزوج على اية حال •• انها مجرد ذراع ايتها الفتاة •• وما تمنع الذراع المبتورة الفتى ان يتزوج • فما مجيئك هذا كل

يوم في جراة لا تكون الا لزوجة كتب كتابها ودخلت ايضا ٠ فما كان يجوز لمن يكتب كتابها ولم يدخل بها زوجها ان تذهب الى بيته وحدها ٠٠ بله الخطيبة ٠٠ بله التى ليست بهذه ولا بتلك ٠

عجيب شان نبوية فى راى الاب والأم معا ٠

اما وهدان فقد استقر به الراى على واحدة من أثنتين ٠٠ اما انها تشفق عليه فى هذه المحنة الطاحنة ٠ واما انها تريد ان تحيى موات امله حتى ينتهى العلاج ويخرج الى الحياة مرة اخرى ٠ وكلا السببين كان يجعله يحزن كلما جاءت لزيارته ، وقد كانت زيارتها يومية وكلا السببين لم يستطع ان يجعل قلبه يكف عن الوجيف ٠٠ وجيفا عاليا دراكا يكاد يعلن عن نفسه للملأ الحاضرين بل والغيب ايضا ٠

وشفى وهدان ٠٠ وخرج للحياة ورضى عن نفسه وهو يجعل من احلام المرض وهذائه حقا واقعا وقوع حياة جادا جدية من لا يهذى ولا يعرف الى الهذاء سبيلا ٠

هو فى الغيط منذ الصباح الباكر وهو لا يعود الى البيت الا بعد ان تغيب الشمس وتوغل فى المغيب وتاتى اليه نبوية فى الغيط وعلى ملأ من الذين يعملون فيه وتجالسه ٠ فى أول يوم ذهب فيه الى العمل ٠ وحرص أن يجعل الحديث بعيدا عن مواطن القلب وحرص على الا يتخاضع لها فى الكلام وانما شكرها لأنها جاءت تهنئه بسلامة الخروج وشغل نفسه بالذين يعزقون الأرض لاينصرف عنهم ولا يميل اليها بكلمة ٠ وان كانت نفسه جميعا باقية بجانبها لا تستطيع عنها منصرفا ولا تطيق منها فكاكا ٠

وابتسمت نبوية بتلك الشفافية التى عرفها الريف فى قلوب فتيانه وبنياته ٠ فمع أنها كانت ترى وجه وهدان وهو منصرف عنها الى فؤوس العاملين الا انها كانت واثقة أن نفسه جميعا بقلبها وجوانحها بجانبها ٠ انتظرت مليا ثم قالت فى شبه همس وفى صوت أغن :

ـ فتك بعافية يا وهدان ٠

وقال دون أن ينظر اليها :

ـ مع السلامة ٠

وصحبت نفسه وجوانحه وانصرفت ، وقال هامسا لما بقى منه ٠٠ ما تزال تحاول تشجيعى على مصيبتى ٠٠

وفى اليوم التالى جاءت نبوية ولم يطق وهدان صبرا ٠٠٠ امسك يدها وانتفض جسمه انتفاضة لم يعرفها فى حياته قط وابتعد بها عن الجميع :

ـ مجيئك بالأمس يرى فيه العاملون فتاة تهنىء ابن قريتها بالعودة الى العمل أما مجيئك اليوم فغير مقبول ٠٠٠ عودى الى البيت ٠

ـ وكيف أراك ٠

ـ ساجىء انا اليك ٠

ـ اين ومتى ؟

ـ ايوافق ابوك على مجيئك ؟

ـ لم أسأله ٠

ـ اتظنين أنه يوافق ؟ !

ـ اذا اتصل الأمر بى وبك فأنا لا أفكر ٠

احس بالكلمة كأنها رصاصة أصابت منه كل المقاتل ونظر الى ذراعه المبتورة وأبقى عينيه عليها لتخفيا دمعات تبأدرت فهمس وقال بصوت لا يكاد يسمع ولكن فى نبرته امر وحسم ·

ــ عودى الى بيتك ·

وفى غير تردد قالت وهى تولى عنه :

ــ امرك هو الأمر الوحيد الذى لا أناقشه ·· فتك بعافية ·

وتزداد الدموع وبلا من عينيه ··· أما عافية الجسم فقد انالها اما عافية الروح فهيهات ·

وظل وهدان يذهب الى الغيط كل يوم ومرت شهور وكان أبوه يظن أول الأمر أنها نزوة جريح فقد ذراعه ولا يريد أن يصاحب الفتية فيما يضطربون فيه حتى اذا تتابعت الشهور وأوشكت ان تكتمل عاما أصبح الأب فى غناء عن الذهاب الى الحقل وراح يقضى نهاره فى جلسته الحبيبة عند عبد الحميد ابو ديدة الخياط الذى لا تمنعه صنعته عن الحديث ولا عن سماع من يقرأ الجريدة له ·

وكانت نبوية فى كل يوم تذهب الى حيث ترى وهدان وتطمئن عليه وتنصرف لاتقترب منه ولكن لاتمضى أو تكون واثقة أنه رآها ·

اذن فالامر ليس اشفاقا ··· ولا هو بتشجيع ··

جاءت من بعيد ورآها فراح يجرى اليها بكل قوته وهى قوة عاتية ··· وما كان فى حاجة الى الجرى فقد كان مناها ان يقبل اليها ولو اقبالة وانية هينة وانها لمنتظرة وان استغرق خطوه اليها عاما واعواما ···

ــ ماذا تريدين يا نبوية ؟ ·

ودون ان تفكر لحظة ·

ـ اريد أن اتزوجك ·

ومادت به الارض بما حوت وصاح ·

ـ انا بذراع واحدة يا نبوية ·

وصاحت هى ايضا به ·

ـ وهل هذه جديدة على ·

وفى تعجب حزين ·

ـ الم ينقطع حبك لى حين انقطع ذراعى ·

واجابته فى قوة حاسمة ·

ـ ومن قال لك انى كنت احب ذراعك ·

ويطاطىء راسه ·

ـ لم أصبح انسانا كاملا ·

ويعلو صوتها وهى تقول ·

ـ ومن قال لك ان الانسان ذراع أو ساق ··· ان الانسان قلب وحنان ورجولة واصرار ··· احبيتك بعد أن فقدت ذراعك اضعاف اضعاف ما كنت احبك من قبل ، واحببتك حين امرتنى الا اجىء اليك فى الغيط اضعاف اضعاف ما احببتك بعد أن فقدت ذراعك ·· وهدان ·· اذا لم تتزوجنى فلن اتزوج طول عمرى ·

وتزوجا ·

★ ★ ★

— ٣ —

عجيب شأن الأيام والسنين · فالايام تمر بطيئة متثاقلة كأنما يدفعها القدر الى المضى رغم انفها بينما تمضى السنــوات مسرعة تلهب الزمان بسياطها وتندفع كالسيل الجارف فاذا الطفل فتى واذا الفتى شاب واذا الشــاب كهل واذا الكهل شــيخ واذا نظروا الى امسهم وجدوه قريبا منهم يكادون لو مــدوا ايديهم أن يمسكوا به او هكذا يخيل اليهم على الأقل · فهم يعلمون أن امسهم الذى ولى بعيد عنهم بعدهم عن بدء الخليقة · ولكنه فى اذهانهم وفى وجدانهم كأنه ما مضى · وقــد يتجسم الخيــال فى نفوسهم ويوشكون أن يصدقوه فما هى الا نظرة فى مرآة أو قومة متثاقلة يعوقها الكبر حتى يدركوا ما على اكتــافهم من سنوات وتتبين لهم الحقيقــة أوضح ما يكون الوضوح · ان السنين قد مرت ولم يكن مرورها بوهدان وزوجته عبثا فقد انجبا سباعى وخليل وفاطمة وعابدة ·

وكان وهدان طوال هذه السنوات خير فلاح فى القرية وربما كان خير فلاح فى المنطقة فاستطاع أن يشترى أربعين فدانا كاملة ·

فقد كان حريصا أن يشترى فى كل عام أرضا بما يفيض من ماله فلا ينكسر عنده مال الى عام قادم مرتئيا أن مستقبله ومستقبل أولاده جميعا هو هذه الأرض · ولكن عشرة افدنة من هذه الأربعين لهـا قصة انت بالغها ·

ومع كل هذه الارض التى اشتراها لم يعرف احد عنه بخـلا ولا هو قصر فى الأنفاق على بنيه ولا هو كان شحيحا مع زوجه فما طلبت منه مطلبا الا كانت اجابة هذا المطلب هى أول شىء يسـارع اليه · لم ينس انها قبلته بذراع واحدة على غير غنى فما كان ابوه يملك غير أربعة افدنة استطاع أن يصل بها الى خمسة قبـل موته وبالجهد الذى بذله وهدان فما كان ابوه ذا همة وما كان يعنيه أن تزيد أرضه بقـدر ما كان يعنيه ان يجلس الى عبد الحميد ابو ديدة الخياط ·

ولم يحاول وهدان وهو يجمع هذه الأرض أن يكون جشـعا يهتبل الفرص ويشترى ممن تلم بهم الضوائق أو تعترض حياتهم الكوارث ولم ينس أهل (الصالحة) قريتهم أن سليمان النواوى الذى يملك ستة أفدنة من اجود أراضى القرية جمعها من تجارة القطن التى كان بارعا فيها كل البراعة ضارب يوما فى البورصة فاذا هو مدين دينا كبيرا وان كان لا يستغرق الأرض · وقصد عبد الحميد أبو ديدة الى وهدان وأوعز اليه أن يشترى أرض سليمان فى هذه الفرصة ويفوز بها واذا بوهدان ينتفض عن انسان يعف أن يكون أخاه فريسته :

ـ أترضى لى هذا يا عم عبد الحميد ؟··

ـ وماذا فيها يا وهدان يا بنى ··· هو معذور ··· ولابد أن يسدد الدين وجميع أصدقائه فى التجارة مضروبون معه ولا طريق له الا بيع الأرض فلماذا لا تشتريها انت ؟··

ـ قسما بأهل بيتى جميعا لو كان سليمان هذا يهوديا لااعرفه ولا يعرفنى ولا نحن أبناء بلدة واحـدة ما فعلتهـا فكيف وهو ابن قريتنا نشأنا نراه ويرانا وتتزاور زوجته وزوجتى ويلعب أطفالى مع أطفاله ·· صل على النبى يا عم عبد الحميد ··

ـ عليه الصلاة والسلام يا وهدان يا ابنى ولكن اليس هذا الذى تذكره سببا أن تنقذه من أزمته ··

ـ أيكون ما تشير به انقاذا أم اجهازا عليه ؟

ـ على الأقل ستكون أنت رحيما معه فى الشراء وتدفع له ثمن الأرض دون أن تخسف بها سابع أرض كما يعرض عليـــه حمدان أبو اسماعيل ·

ـ ولا هذا ··

ـ اذن فقد أضعت الرجل وأنت تحاول أن تنقذه ·

ـ وما كنت لأفعل هذا أيضا ·

ـ فماذا أنت فاعل ؟··

ـ قم معى وسترى ··

وحين استقر بهم المجلس عند سليمان قال سليمان دون ريث من التفكير :

ـ الحمد لله انك جئت يا وهدان ٠٠

ـ تحت أمرك يا سليمان ٠٠

ـ والله لا يشتري الأرض الا انت ٠٠ لقد خسف حمدان ثمنها الى العشر وأنا مضطر للبيع ولكنني رفضت أن ابيعها له من شدة غيظي منه أما انت فابيعك اياها بالثمن الذي عرضه واكون سعيدا ٠

ـ صل على النبي يا أبو داود ٠٠

ـ عليه الصلاة والسـلام ٠٠ اتريد أن تنزل بهـا عن ذلك ايضا ؟٠٠

ـ صل على النبي « أمال » ٠٠ خذ هذه الفلوس ٠٠

ـ ما هذه ٠٠ الا نتفق الأول ؟٠٠

ـ ولا نتفق ولا يحزنون خذ وصل على النبي ٠

ـ بكم تريد الفدان ؟٠٠

ـ لا أريده مطلقا ٠٠ لا أريده حتى ولو بعته لي بلا ثمن ٠

ـ فما هذه الفلوس ؟٠٠

ـ دينك ٠٠ اذهب فسدده ٠٠

ـ ماذا تقصد يا وهدان ؟٠٠

ـ ماذا جرى يا سليمان ، اكلاب مسعورة نحن حتى نتشمم الضوائق تحيط بناسنا فنجعل منها فرصا لنا ٠٠ لا يا سليمان ٠٠

لا عشنا ان كنا نفعل ذلك ·· سدد دينك والتجارة يوم فى العالى ويوم فى الواطى وان خانك السوق مرة فمصيره أن يكرمك فى المرة القادمة ··

ـ أما سبحان الله ·· ولكننا لسنا أصدقاء ··

ـ معارف ·· وأولاد بلد واحدة ووشنا فى وش بعضنا البعض العمر كله ·· وانا كنت سأشترى بضعة أفدنة هذا العام بهذا المال الفائض عندى فماذا يجرى اذا أجلنا الشراء الى العام القادم ··

وصاح سليمان من الفرحة وكأنه يرى سحرا لا يصنعه أحد من أبناء الأرض ··

ـ أهذا معقول ؟··

ـ غير هذا هو الذى لا يعقل ·· توكل على الله ·· سلام عليكم ··

ـ انتظر أكتب لك ورقة ··

ـ ولا ورقة ولا يحزنون ··

ـ لا ·· هذا ليس من حقك ··

ـ انه مالى وأنا حر فيه ··

ـ أطال الله عمرك ولكنه ليس مالك انه مال أولادك وأنت امين عليه ··

ـ لا مسئولية على أمام أولادى ·· لقد ورثت عن جدهم خمسة أفدنة ولو كنت بعتها لكان هذا من حقى ولكنى لم أبعها وزدت عليها ··

ـ اسمع من غير كثرة كلام · تأخذ الورقة أو تأخذ الفلوس ؟

ـ هات الورقة ··

وهكذا لم يكن وهدان فى شرائه للأرض مسعورا ولا كان نهازة فرص · ومادمنا قد روينا قصته مع سليمان فمن حق القصة أن نكملها · فقد سدد سليمان دينه وعمل فى التجارة وكسب فى العام التالى كسبا يمكنه من سداد دين وهدان ولكنه لم يفعل وانما قصد الى وهدان ··

ـ لقد عملت فى معروفا مازالت الجهة تتحاكى به ·

ـ يتهيأ لك ··

ـ اسمع ·· أنا كسبت هذا العام ولكننى مع ذلك لا أستطيع أن أرد اليك دينك ومن عمل معروفا فعليه أن يتمه فهل انت على استعداد أن تتم معروفك ؟··

ـ أتمه ان شاء الله ··

ـ تترك فلوسك للعام القادم ··

ـ أمرك ··

وانصرف وهدان ودار العام فى غمضة عين وان كانت أيامه كانت تمر ثقيلة أثقل من الأيام العادية فقد كان سباعى كلما خلا بأبيه يقول له :

ـ لو كنت يا أبا اشتريت أرض سليمان لكان محصولها يكفى لشراء نصفها على الأقل هذا العام ٠

ويصيح الأب فى جزم آباء هذا الزمن :

ـ اخرس يا ولد ٠٠

ويضطر الولد أن يخرس ثم ما يلبث أن يكرر جملته تلك كلما امتد حديث الى محصول أو أرض أو شراء أو بيع ٠٠

وكان الأب يحس حسرة أن ابنه يلومه ولم تكن الحسرة وليدة اللوم وانما كان باعثها أن ابنه سباعى على غير خلقه وانه لا يعرف معنى الا ينتهز انسان ضائقة انسان اخيه ولا يعف عند مقدرة ولا يتعالى عن خلق الذئاب ٠

وكانت نبوية تهون عليه ما يتداوله من الم لما جبل عليه ابنه البكر ٠ فكان يقول لنبوية :

ـ اخاف عليكم منه بعدى يا نبوية ٠٠

ـ لا عشنا بعدك يا وهدان ٠٠ لا عشنا بعدك ٠٠

ـ انه بلا قلب ٠٠

ـ ابنك لا يمكن أن يكون بلا قلب ٠٠

ـ اتصدقين أن الأبناء يرثون اخلاق آبائهم فيما يرثون هيهات ليست الأصلاب ولا الأرحام امينة دائما ٠٠ والذى لا يقدر ما صنعته مع سليمان شخص يخشى منه يا نبوية ٠٠

ـ اسمع يا وهدان علينا أن نحمل همهم ونحن أحياء أما من بعدنا فعلى كل منهم أن يحمل هم نفسه ··

مر العام اذن وكان أثقل الأيام مرورا ثم جاء سليمان الى وهدان وكان ولداه جالسين معه ··

ـ السلام عليكم ··

ـ وعليكم السلام ··

ـ كل عام وانت بخير ··

ـ وكل عام وانت بخير يا سليمان ··

ـ قم يا عم هات الورقة التى عندك ··

ـ أمرك ··

وعاد وهدان بالورقة وأعطاها لسليمان ··

ـ خذ يا عم ·· ربنا يزيدك ··

ـ وانت خذ هذه ··

ـ ماذا ؟··

ـ لقد تعلمنا القراءة معا فى الكتاب اقرأ ··

وقرأ وهدان فوجد بالورقة عقد شراء باسمه لعشرة أفدنة ملاصقة لأرضه ، وانتفض فى جلسته ··

ـ وهل أنا مرابى يا سليمان ؟··

ـ اهدأ واسمع ٠٠

ـ هدأت ٠٠

ـ فلوسك كانت جاهـزة معى من السـنة الماضية ولـكننى احببت أن أرد جميلك قلت أتاجر لك بها فان كسبت فالمكسب لك وان خسرت أردها اليك دون أن تعلم ، وقد كسبت وجاءنى جارك نجيب الجلطة يريد أن يبيع أرضه لأن ابنه الذى أصبح مهندسا يريد أن يبنى بها عمارة فى مصر ٠٠ وانظر الى الثمن تجده عادلا لا ظلم فيه ٠٠ استخرت الله واشتريت الأرض باسمك ٠

وانتصب سباعى واقفا واهوى على يد سليمان يريد ان يقبلها والمت بوهدان غصة أوشكت أن تضيع عليه فرحته بما صنع صديقه ٠٠ ما سباعى هذا ٠٠ لا عفه عند مقدرة ولا كرامة عند فرحة ٠٠ حسبى الله ونعم الوكيل ٠٠

حسبى الله ونعم الوكيل ٠٠



— ٤ —

في هذه السنوات البلهاء من حياة مصر كان ينبت في بعض المناطق مجرم يثير الذعر حوله ينتمي هـذا المجرم الى وجيه من وجهاء المنطقة بعقد شيطاني غير مكتوب أن يحمي الوجيه المجرم من الحكومة ويحمي المجرم أملاك الوجيه من المجرمين الآخرين ·· وشأن كل العقود الشيطانية يتجاوز مفعول العقد حدوده ويتستر الوجيه على المجرم تسترا لو حاسبه عليه قانون العقوبات لأصدر عليه احكاما قاسية ·· وفي مقابل ذلك يصبح المجرم أداة بطش وعدوان للوجيه يخيف به كل المقيمين حوله مجرمين كانوا أو غير مجرمين · وما هو الا يسير زمن حتى تصبح أعمال الوجيه بواسطة مجرمه كلها اعتداء على حقوق الآخرين لأن سمعته وحـدها كافية أن تذود عنه أي مجرم يفكر أن يمس حقوقه · ويصبح الريف غابة، السيادة فيها لمن لا ضمير له · وهذا نوع من الغابات فريد · فغابة الحيوان غابة تجمع مخلوقات بغير عقول ومن لا عقل له لا ضمير له فمن الطبيعي أن يكون الحكم فيها للأقوى ومن الطبيعي أيضا أن تكون الوحشية هي الدستور فبغيرها لن تطعم الحيوانات ولن تجد مأكلها وهذا في ذاته سبب كاف أن تستعمل قوتها لتعيش ·

اما غاية الانسان فهى بعيدة عن ذلك كل البعد فاذا كان الحيوان قد حرمه الله حق الاختيار فانه سبحانه قد فرض على الانسان هذا الحق بما وهبه من نعمة العقل ومن نعمة الرحمة ومن نعمة المشاعر الرقيقة ، وكان طبيعيا مادام العدل المطلق قد وهب للانسان كل هذه الحقوق أن يفرض عليه واجب الأمانة التى عرضها على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ٠٠ وهو سبحانه حين حمله هذه الأمانة الثقيلة فرضها عليه حين اختار هو أن يقبلها فحين خلق الله آدم طلب اليه الا يمس شجرة من الجنة ٠٠ وما شجرة فى جنة عرضها السماوات والأرض ٠٠ فحين عصى آدم ربه اختار اذن أن يحمل الأمانة ٠٠ ان الانسان كان ظلوما وهكذا ظل ٠

قليل من وجهاء الريف من كان يضع تحت حمايته مجرما أو عددا من المجرمين ففى كل منطقة قد تجد واحدا من هؤلاء الوجهاء غير الوجهاء فى الدنيا أو فى الآخرة وغالبا ما تكون المناطق نقية منهم كل النقاء تسمع عنهم فى الجهات المجاورة ولكنها لا تعرفهم ولا تشتهى أن تعرفهم ٠ بل ان الجميع يدعو الله أن يبعدهم عنهم ويعمى عيونهم عن بلادهم وأملاكهم وأرواحهم ٠ فهم يعرفون عنهم كل شىء معرفة يقين ٠ ويعرفون أنهم متوحشون يستأجرهم سادتهم لقتل من يجرؤ أن يناقشهم فى أمر أو يتوانى فى تنفيذ اشارة اصبع تصدر عن ذلك الوجيه غير الوجيه ٠

وكانت بلدة الصالحة متطهرة من هذا الوباء وكانت كل صلتهم به ما يسمعونه عن ابو سريع الفرحان ذلك المجرم الدموى الذى يأوى بعصابته الى ظل عز الدين بك الخولى عضو مجلس النواب عن الدائرة التى تتبعها الصالحة ٠ وكانت الصالحة ترد

عن نفسها العدوان بأن تعطى اصـــواتها لعـز الدين متظاهـــرة بالطواعية حتى لا يكون هناك أى مبرر أن يقترب منها ابو سريع ٠ والبلدة لم تكن متحمسة لمرشح اخـر فهى لا تجـد بأسا ان تنتخب حامى المجرمين هذا مرتئية أن فيما تفعله كياسة لا تضيرها ٠

وفى يوم كان وهدان جالسـا الى اسرته جميعا اما الأم فقد كانت تصلى وكان وهدان يقرأ القرآن وكانت فاطمة تقرأ فى كتاب اشـتراه لها اخوها خليـل وعابده تنظـر الى الجميع وترى فى وجوههم القـلق الشـديد الذى يحـاول كل منهم أن يخفيه بشتى وسائل حتى لايثير بقلقه قلق الآخرين ٠ ولم يكن عجيبا ان يتولاهم هذا القلق ٠ فخليل هو أملهم ان يصبح لهم شان فى حياة العـلم بعد أن ترك سباعى المدرسة وهو بعد طفل فى العاشرة فلم يتعـلم منها الا قراءة وكتابة توشك ان تكون عاجزة ٠ اما خليل فقد مضى فى التعـليم مضيا موفقا وكان متقـدما فى دراسته دائما ٠ وهم اليوم ينتظرون نتيجة التوجيهية التى حملت اسمها هذا لأنها تعطى لحائزها الحق أن يتوجه فى التعـليم الجامعى الى الكليـــة التى يختارها فهى نهاية التعليم العام او هى بلغة وزارة المعارف نهاية التعليم الثانوى ٠

كان الأب والأم والابنتان جميعا فى هـذا القلق الذى تشعر به عابده وتراه على وجوههم ٠ وكان سباعى كشأنه بعيدا عن قلق الأسرة وعن اجتمـاعها هـذا بل هو حتى لم يكن يدرى أن نتيجة شـهادة التوجيهية ستظهر فى هذا اليوم فهو دائما فى شأن يظن انه يغنيه وهو دائما بعيد عن اسرته ومشاعرها بما يشغل به نفسه من شواغل منها الأرض والمحصول ومنها غير ذلك ٠

كان فى يومه هذا يلبى دعوة على الغداء دعاه اليها شعبان الخولى بن عز الدين الخولى الـذى تعرف به منـذ قريب فى مقهى بالمركز · وأراد شعبان أن يظهر ابن وهدان على القصر الذى ابتناه ابوه بقريتهم العدوة واراد أيضا أن تصـل بينه وبين ابن الرجل الذى يعتبر اغنى من فى الصالحة أصرة مستذاقة فقد كان شعبان أيضا ممن نكصوا عن التعليم شأن سباعى · وكمـا يلتقى الفلاح بالفلاح فيتناجيان ويتعارفان ويجدان شيئا دائمـا يقولانه يلتقى الغـــريبان فيتناجيان ويتعارفان ويجدان شيئا يقـولانه فيصبحان صديقين · ولكن لابد لنا أن نكون منصفين فان يكن شعبان وسباعى قد فشلا فى المضى قدما على درج التعليم فقد كان كل منهما فلاحا من الطبقة الاولى يعرف ما تحتاجه الأرض ويقـدمه لها فى كـرم ومهارة وحذق واثقين ان الأرض خير شىء يرد ما يأخـذ أضعافا مضاعفة · وقد كان وهـدان يجـد فى قدرة سـباعى الفائقة على رعاية شئون الأرض ما يعزيه عما جبل عليه من خلق لا يرضيه · ولكنه شأن الناس أجمعين كان يتلمس لطف الله فيما يصاب به وقد وجد لطفه سبحانه فى براعة سباعى الزراعية وراح يقول لنفسه ربما أراد سبحانه أن يجعـل منه حارسا على الأرض يرعاها من بعدى لأخوته عنى · وان كانت غصة تلوى عزاءه بعض الشىء ·· اتراه سيحرسها أم سينهشها · الله وحـــده يتولى عبـــاده بمـا يرضاه ·

كان سباعى اذن يلبى دعوة شعبان وقبل ان يأتى الغــداء جلس الضيفان فى غرفة الاستقبال الواسعة الأرجاء وقال سباعى :

ـ ما سمعنا عن سعادة البك والدك ولا عن سعادتك الا كل كرم ·

ـ ارأيت بخلا ؟

ـ نعم رأيت

ـ ولكن الأكل لم يظهر بعد

ـ قطعة جبن تنبىء عن الكرم فى كثير من الأحيان ٠

ـ فماذا تقصد ؟

ـ انتغدى وحدنا ؟!

ـ آه ٠٠ انا أردت الا يشاركنا أحد الحديث ٠

ـ وهل يحلو الحديث الا باللمة ٠

ـ ومن تريد ٠

ـ اين أبو سريع ٠

ـ والله هو هنا اليوم ٠

ـ فلماذا لم تدعه معنا ٠

ـ ادعوه ان بيته قريب ٠

ـ لابد أن يكون بيته قريبا ٠

وضحك شعبان وقال سباعى :

ـ ادعه يا شعبان بك وادع رجاله واللقمة الهنية تكفى مية ٠

وجاء ابو سريع وعرف أن الذى دعاه هو سباعى وحمد
هذا له فما كان يتناول طعامه على مائدة عز الدين بك الا عندما
يكون هناك امر جليل يريد أن يكلفه به اما شعبان فما كان يهتم
بدعوته مكتفيا بان يعطيه من حين لآخر بعض المال ·



حين عاد سباعى الى البيت وجد الكثيرين امام بابه ووجد
الدوار مبتسما فرحا · وعجب ·· انه هو فرحان نعم أن تغدى مع
شعبان وابو سريع ورجال ابو سريع ولكن ما هذا الفرح فى
بيتهم · وعرف أن اخاه حصل على التوجيهية والعجيب او ربما
ليس عجيبا أن يشعر بالفرح · فخليل بهذا قد أصبح من أهل الكتب
وليس لهؤلاء صبر على الفلاحة · لقد تأكد فى لحظة علمه ان اخاه
ذاهب الى الجامعة والى كلية الطب ·· ان أرض أبيه أصبحت
له وحده من بعده ·

وعجب الأب من فرحة سباعى وربما خامر ذهنه ما اختلط
بنفس سباعى فقد علمته الحياة أن يصل من النفوس الى ابعد
اعماقها · ولكنه بمشاعر الأب الذى يمتزج حب الأبناء مع الدماء
فيها نفى ان يبلغ الجشع بابنه البكر هذا المدى ·· وأبى الا أن
يسعد فى يومه هذا سعادة لا يقف بها عارض من أى مكان سواء
كان هذا العارض من داخل النفوس أو من خارجها ·



— ٥ —

حين عرف وهــدان من ســباعى انه دعا شعبان وأبو سريع ومجرميه الى الغداء بالبيت غضب كل الغضب ·

ـ هذا بيت عاش طاهرا واحب أن يظل طاهرا ·

وكان سباعى فى دهشة من أمر ابيه فقد كان يظن انه سيفرح غاية الفرح ان ابن عز الدين بك قبل الغداء عنده ·

ـ يا ابا انه بن عز الدين بك ·

وازداد ذهول سباعى وابوه يقول له :

ـ طظ ··· وما عز الدين بك بتاعك هذا ··

ـ يا ابا عز الدين بك كبير الناحية ·

ـ بالاجرام والقتل والاعتداء على حرمات الله والناس ·

ـ رجل عتره ·

ـ عند من لا يخافون الله امثالك · انما فى الحقيقة هو ليس رجلا اصلا ··

ـ ليس رجلا ··

ـ الرجل هو الذى يشق الحيـاة الى الآخـرة بطاعة الله لا بعصنيانه وباحياء البشر لا بقتلهم ومن قتل انسانا واحـدا فهو عند الله كمن قتل الناس جميعا ·

ـ انظر يا ابى الى الثروة التى كونها ·

ـ بسيطة

ـ مائتا فدان من لا شىء بسيطة

ـ والف والفان بسيطة مادامت وسيلته القاء الذعر فى قلوب الناس والاستيلاء على حقوقهم بالباطل ·

ـ على كل حال يا ابا انا لم ادعه ·

ـ دعوت ابنه ودعوت المجرمين الذين يعملون لحسابه

ـ اريد ان يكون لنا قيمة فى البلدة وفى الناحية

ـ فشرت انت وضيوفك جميعا ·· ان قيمتنا فى قلوب الناس اعظم منهم الف مرة

ـ يا ابا انه نائب الدائرة

ـ بالرعب والقهر وليس بالاختيار ، ولو ملك النـاس امر انفسهم دون خوف لأختـاروا اى شخص يمثلهم فيكون تمثيله لهم شرفا وقيمـة ·· يختارون متعلما او يختارون شريفا لا لصـا ولا قاتلا ···

ـ فما لحترام الناس هذا

ـ الا تعرفه وتعرف من أين يصدر من نفوسهم

ـ انهم يهابونه

ـ انهم يخافونه ٠ وانهم لا يحترمونه ٠ انمـا الاحترام هو ذلك الذى تنطوى عليه نفوسهم بحريتها المطلقة وليس بما يخشونه منه اذا هم حجبوا عنه احترامهم ٠ ان اخاك خليـل محترم بعلمه فى بلدتنا أكثر من عز الدين هذا الذى تتشرف بمعرفة ابنه وبدعوته الى الغداء عندك

ـ خليل اخى ٠ لا يا آبا شرع الله عند غيرك

ـ بل هذا هو شرع الله والناس أما شرعك انت فشرع الشيطان المسعور من بنى آدم ٠

ـ والآن ماذا ترى

ـ وهل تركت لى رأيا ٠٠ لقد دعوت فعلا ولا أحب أن اجعـل منك طفلا أمام الناس

ـ مصيبة سوداء لو عرف عز الدين بك رأيك فيه

ـ أو يشرفك هذا ٠٠ نعم فعلا مصيبة سوداء ٠٠ ومعـرفته مصيبة سوداء أيضا ولهذا كنت أرجو أن أقضى الأيام الباقيـة لى لا أعرفه ولا يعرفنى

ـ الحق على يا آبا

ـ حين امـوت اخاف أن يكون عـز الدين وأمثاله هم مثلك الأعلى

وأوشك سباعى أن يهتف : ياليت ، ولكنه كتمها وسأل أباه:

ـ اتحضر معنا الغداء يا ابا

ـ وانا ما شانى

ـ انه بيتك

ـ بل بيتك مادمت دعوت فيه فأنت تعـرف انه بيتك وان لك هذا الحق لا انازعك فيه وانما اغضبنى اختيارك لمدعويك · ولكن الأمر لله ···

* * *

حين استقر المقـام بشعبان ورجال أبيه فى الدوار أصبح الدوار فجأة خلية نحل وراح كل من يعمل فى البيت يعـد العدة للغداء · وتسامع اهل القرية جميعا بهـذه الدعوة فتولاهم نحـو سـباعى ذلك الشعور العجيب الذى يجمع بين الخوف والرهبـة والاحترام المرتعد · ولم يحاولوا أن يضعوا الحدود الفاصـلة بين هـذا النوع من الاحترام وبين ما يكنونه لوهـدان من احترام فيه حب وفيه تقارب ومودة ·· لقـد تعودوا ان يكتموا ما يعتمـل فى نفوسهم نحو عز الدين ومجرميه ، وأصبحت هـذه العـادة منهم طبيعة لا تناقش ولا يحلل مداها انسـان ولا يحاول أحـد أن يتتبع جذورها · هم فقط أحسوا أن سباعى أصبح شخصا مهما لانه دعا ابن عز الدين وأبو سريع ورجال ابو سريع وقبلوا الدعوة ·

تناولوا الغداء وضمتهم حجرة الاستقبال فى الدوار مرة أخرى وقد كان الدوار شأن أمثاله فى بيوت الاعيان بعيدا عن الدار موصولا بها فى وقت معا · فهو جلسة الرجال وليس له بحرم البيت وحريمه صلة الا ان يأتيهم منه المطعم والمشرب ثم لا اتصال ·

قال شعبان وقد انتفش على الكنبة مزهوا بمكانة ابيه :

ـ مبسوط يا سباعى

ـ رضا والحمد لله

ـ الحمد لله على كل حال ولكن لماذا الرضا

ـ يا سلام اتكون مشرفا عندى انت وهؤلاء الرجال السباع ولا يكون الحال رضا ··

وضحك الجميع ·

وقال أبو سريع معلقا على السباع :

ـ يا سباعى

وعلا الضحك مرة أخرى · أما رجال أبو سريع فلأنهم لابد لهم أن يضحكوا مادام ابو سريع يضحك · وأما شعبان وسباعى فليفهما ابو سريع أنهما فطنا الى قفشته وتلاعبه بالسباع وسباعى وسرعة خاطره أيضا · ولكن شعبان يقول مواصلا حديثه :

ـ يا حبيبى انا اسالك هل انت مبسوط فى حياتك

ـ وهى أيضا رضا والحمد لله

ـ لماذا

ـ وماذا أريد أحسن من هذا آكل شارب نايم اشوف أرضى ابى وانتج منها أحسن محصول ماذا أريد أحسن من هذا

ـ وهل هذه عيشة

ـ وما العيشة ؟

ـ تعال معى الى مصر وانا اعرفك العيشة على حقيقتها

ـ يا سلام !

ـ رحت مصر ؟

ـ طبعا

ـ اين ذهبت ؟

ـ زرت المشايخ وزرت اقاربنا هنــاك وأصدقاءنا ودخلت السينما ورحت الى المسارح وشفت كل حاجة فى مصر

ـ دخلت كباريه ؟

ـ كبا ... وماذا ؟.

ـ كباريه

ـ آه .. لا .. سمعت عنه فقط

ـ سمعت عن ماذا ؟

ـ يقولون عن الاوبرج وشىء آخر اسمه الاريزونا

ـ يقولون

ـ سمعت

ـ ولم ترِ ؟!

ـ الكذب خيبة ٠٠ لا لم أر

ـ فانت لم تر مصر

ـ اهذه هى مصر

ـ عندى أنا ٠٠ انا يا بنى حين اذهب الى مصر لا شأن لى لا باقارب ولا بغيره ٠ كم صاحب أعرفهم أصل الى بيتنا هناك وأدور عليهم بالتليفون وعينك ما تشوف الا النور ٠

ـ واين هذا النور

ـ فى الاوبرج

ـ اتذهب الى الاوبرج

ـ ولا أحب غيره ٠٠ جربت كل كباريهات مصر ٠ لم يملأ عينى الا الأوبرج ٠ الملك يذهب الى هناك

ـ شفته ؟

ـ مرة

ـ واحدة ؟

ـ كفاية

ـ ما شكله ٠

ـ سمين وضخم ٠٠ انما الحق له هيبة

ـ ملك ٠٠ ملك يا عم ملك ٠٠ الأمور عندنا يهز العيرية شف ملك ماذا يفعل

ـ ليس هذا هو المهم

ـ الملك ليس مهما !!

ـ هناك ليس مهما بالمرة ٠ المهم أشياء أخرى

ـ مثل ماذا

ـ اسمع يا عم انا رجل أحب العمل ولا أحب الكلا

ـ ولكننا الآن لا نملك الا الكلام

ـ فشر ونملك العمل ايضا

ـ كيف

ـ انا مسافر الخميس القادم ٠٠ تجىء معى ؟

ـ أجىء

ـ صحيح ؟!

ـ وهل الاقى فرصة أحسن من هذه

ـ اتفقنا

ـ اتفقنا

* * *

حوت غرفة الاستقبال فى المساء قوما آخـرين فقد تصدرها وهدان كشأنه كل ليلة والتام حوله اصدقاء جلسته يكادون لايتغيرون فى ليلة عن الأخرى فاغلبهم تعود هـذه الجلسة والحديث بينهم متصل منذ سنوات وفى ايام ام كلثوم يعدون العـدة لسماعها في راديو وهدان وقد كان الاستماع الى الراديو لمدة طويلة يحتاج ان يذهب احدهم بحماره الى المركز فى اليوم السـابق ليملأ البطارية الضخمة فهىبطـارية سيارة ويعود بها فىاليوم التالى ، ولمتكن ام كلثوم تغنى فى هذه الليلة وانما هو الحديث ·· حديث فى كل شيء · واحيانا كان يلم بالجلسـة اصـدقاء غير منتظمين اما ان يكونوا اصحاب مصلحة يريدون قضاءها مع وهدان أو مع أحـد جلسائه أو يكون قدومهم لمجرد السمر والحديث · وفى هذه الليلة جاء الى الجلسـة عبـد الحميد أبو ديده الذى توقف عن العمـل كخياط للقرية تاركا الصنعة لابنه بعـد ان أوهنه الكبر · وأصبح لا يخرج من البيت الا فى القليل النادر وكانت تنعقـد فى بيته هو ايضا جلسة مثل جلسة وهدان هذه · فلم يكن غريبا ان يكون المامه بدوار وهدان نادرا وقد اوسعه وهدان ترحيبا · وقد حرص سباعى أن يحضر الجلسة ليرى نفسه موضع الاكبار والتقدير بعـد دعوة الغداء التى عرفت القرية جميعا بشانها · وما هذا بعجيب فان اى دعوة فى القـرية هى حـديث القرية جميعا · ولكن مجيء شعبان ورجاله امر يعرف سباعى انه هز القرية كلها من الأعماق · وتهيأ سباعى لسماع كلمات التقدير على دعوته تلك · وقد رأى فعلا نظرات الاحترام ماثلة فى اعين معظم اهل الندوة وحين بدأ الحديث بدأ بطبيعة الحال عن مجيء شعبان وابو سريع فاذا وهدان يقول فى هدوء وفى حسم :

ـ اذا تكلمتم فى شأن هذه الدعوة فاسمحوا لى أن انصرف ·

وانقمع الحديث عنها تماما واحس سباعى لذعة اسف انه لم يتمتع بما كان يهفو الى التمتع به · والتوى الكلام الى غير هذا مما تعودوا ان يأخذوا فيه · وما هى الا بعض الساعة حتى استأذن عبد الحميد ابو دبدة وقال وهدان :

ـ لماذا يا عم عبد الحميد · لم نشبع منك يا رجل

ـ عمك كبر يا وهدان ··· انا حتى فى دارى اترك ضيوفى كل ليلة يكملون حديثهم واقوم انا ويعذروننى يا ابنى ·· كبرنا يا وهدان

ـ انت الخير والبركة · اوصل عمك عبد الحميد الى بيته يا سباعى

ويقول عبد الحميد فى صوت من يرغب فى هذا التكريم الذى تعود عليه والذى جاء فى هذه المرة املا ان يحدث

ـ وما لزوم التعب

ـ تعبك راحة يا عم عبد الحميد

ويصيح سباعى راجيا أن يسمع من عبد الحميد ما فوته أبوه عليه من تكريم

ـ تحت امرك يا عم عبد الحميد

وما يكاد الطريق يخلو بالاثنين حتى يقول عبد الحميد :

ـ لقد جئت اليوم خصيصا من أجل خلوتنا هذه

ـ خيرا يا عم عبد الحميد

ـ انت دعوت اليوم شعبان

ـ حصـل

ـ اخطب اخته

ـ ماذا ؟!

ـ ما سمعت

ـ وهل هذا معقول يا عم عبد الحميد · بنت البك تقبلنى انا !

ـ وانت ما عيبك ؟!

ـ على الاقل يقولون لم يتعلم

ـ وهل تعلم ابوها او اخوها او تعلمت هى انما هما كلمتان عرفت بهما كيف تفك الخط

ـ انا والحمد لله مستور في القرية ولكن بالنسبة لعز الدين بك انا فقير

ـ ولا فقير ولا حاجة

ـ كيف ·· واين ما املك مما يملكون · وايجاراته من الاوقاف وحدها تدر عليه دخلا قدر دخلنا مائة مرة او قل مائتين

ـ اسمع ما اقول لك ·· اخطب اخته

ـ ان رفضونى ستكون سبه

ـ لن يرفضوك

ـ وانت كيف عرفت

ـ هذا شأنى

ـ فقط قل من أين عرفت

ـ من سنى الكبيرة ·· من الـزمن ·· من النـاس الـذين عرفتهم ·· اسمع كلامى يا ولد ·· انا فى مكان جدك ومن سـنه أيضا

ـ اذا تمت هـذه الزيجة يا عم عبد الحميد لا أدرى كيف اكافئك

ـ انت يا ولد تكافئنى ·· انت يا ولد ابن وهدان وأبو وهدان عاش عمره كله على باب دكانى ، اتظن اننى جئت اليك لكى تكافئنى وماذا أصنع بمكافاتك هل سآخذها معى الى الآخرة · ان اردت أن تكافئنى حقـا فانى أوصيك بابنى حسن فهو قليل الحيلة وأنا لم أترك الا ثلاثة أفدنة دفعت فيها عينى وانكفائى على ماكينة الخياطة عشرات السنين

ـ ربنا يطيل عمـرك يا عم عبـد الحميد وحسن فى عينى الاثنين

ـ يكفينى هذا · ارجع انت · سلام عليكم

★ ★ ★

— ٦ —

لا يكون الحـلم الا من تجارب الانســأن ومن ســابق خبرته فالأحلام على هذائها وبعـدها عن العقل تخاطب النـاس على قدر خبراتهم · هى قد تخلط هذه الخبرة وتقلب موازينها وتجعل اعاليها اسافلها وأسافلها اعاليها انما تظل بالنسبة للأنسان الذى تعـرض له فى حدود ما عرف من واقع الحياة ، ولذلك يستطيع المرء غالبا أن يعبر عنها ويروى ما عرض له فى احـلامه اذا كان منتظما أو يعزوه الى خرف النوم أو فقد انتظامه وتتابعه ·

اما هـــذا الذى يراه سباعى فلم يخطـر له على حلم ابدا وما تصور ان تضم جنبات الحياة شيئا مثل هذا الذى يشاهده من راقصات الاوبرج · عرايا صــدورهن أو عــرايا جسومهن جميعا الا موقعا أو موقعين الغطاء فيهما أخبث من العـرى وما ان أفاق هونا من ذهوله حتى التفت الى شعبان :

ـ اهؤلاء نسوان

وانفجر شعبان فى قهقهة عالية ليست غـريبة ممن يحـويهم هذا المكان وقال :

ـ طبعا نسوان

وظل سباعئ فى بهره وهو يقول :

ـ مثل نسوان البلد عندنا

واستمرت القهقهة يختطف من شهيقها الاجابة

ـ ماذا ترى انت ؟

ويقول سباعى فى جدية حاسمة لا اثر فيها لمزاج :

ـ ألنسوان عندنا خفراء

ويقول شعبان بعد أن هدات ضحكاته

ـ لعلك لم تراهن الا فى مواطن الجد

ويقول سباعى فى جديته لا يزال

ـ رايتهن فى كل المواطن ·· خفـراء ·· خفـراء فى أكثر المواطن خلاعة

ـ لعلك لم تحسن الاختيار

ـ وهل هى واحـــدة ·· انهن كثيرات عـرفتهن ·· وكلهن خفراء

ـ فما رايك انك لم تر شيئا بعد

ـ مـا أرى يكفى ٠٠ يا رجـل انا اتعجب من نفسى كيف لم يغم على

ـ لا ٠٠ اجمد ٠٠ الليل مازال طويلا أمامنا ٠٠

ـ وماذا سنعمل فيه أكثر من هذا

ـ هذا شأنى

ـ انا تحت أمرك ٠٠ عبدك وبين يديك

ـ أولا تشرب هذا الكأس

ـ وما له أشربه ٠٠ هه بسم الله الشافى المعافى

وهم أن يقلب الكأس جميعه فى فمه مرة واحدة ولكن شعبان اسرع فامسك بيده

ـ لا ٠٠ انتظر ٠٠ ليس هكذا

ـ فكيف أذن

ـ رشفة رشفة ٠٠ اتريد أن تنقلب منا فى الاوبرج

ـ أمرك

ـ حين ينتهى الكأس او الكأســان ٠٠ وليس أكثر سترى ما لم تره حتى الآن ٠٠

وانتهى سباعى من شرب الكأسين فى بطء الجاهل الذى لاخبرة له وبدأت المناظر التى يراها تصــل الى أعماق كيانه وتصــاعدت

الحميا الى مكامن الشعور فيه فاذا هو يعيش حياة غير الحياة حتى ليحسب انه لم يولد الا فى هذه اللحظة وحين ادرك شعبان ما صار اليه حال صديقه سأله :

ـ وما رأيك اذا قلت لك انك ستقضى الليلة مع واحــدة من أولئك الراقصات ..

وفى وقار متعتع سأله :

ـ وماذا أصنع معها

وحينئذ انفجر شعبان مرة أخرى فى قهقهة عالية وراح يقف ثم يقعد والقهقهة على حالها حتى اذا استطاع ان يلتقط انفاسه قال لسباعى :

ـ كان يوم. هنا يوم عرفتك

اما اصحاب شعبان فكانا اثنين وقد اتخذ كلاهما موقف المشاهد سعيدين غاية السعادة بهذا المخلوق الجديد على المكان والجديد على هذه الحياة جميعا ولكنه عندما سأل شعبان سؤاله الأخير هذا كانا أشد صخبا من شعبان وسأله احدهما وكان شعبان يدعوه كريم :

ـ الم تقل انك عرفت نسوان كثيرات فى البلد ..

وفى نفس النغمة الوقور المتعتعة قال سباعى :

ـ ياسى كريم افندى اسم الله على مقامك النسوان اللواتى عرفتهن شىء والنسوة هنا شىء آخر بالمرة لم يرد صنفه على مطلقا ولم يخطر لى على بال ان فى العالم نسوانا بهذا الشكل .. بالتأكيد هؤلاء صنف آخر من الناس لا أعرفه انا ولا ابى

وتتم الليلة كما ينبغى أن تتم مثل هذه الليالى ويحس سباعى انه بهذه الليلة اصبح من طبقة اخرى غير طبقة أهله ولكن العجيب أن سباعى مع كل هذه المتعة التى شعر بها والتى اوغلت فى العميق من كيانه كان يدرك أن مثل هذه الليالى انما هى لهو يتمتع بها من يحبها ليلة كل شهر أو ليلتين ولكنها لا يمكن أن تكون حياة باكملها كما كان يعتبرها شعبان · كان الأمر بين الاثنين مختلفا كل الأختلاف فقد كان شعبان لا يريد من الحياة الا هذه الحياة · وكان عمله فى الأرض عمل مرغم لا راغب مدركا ان اباه سينضب عليه موارد المال اذا هو لم يقم بواجبه كفلاح يعينه على زراعة الأرض الواسعة بما يستأجر من الاوقاف · أما سباعى فقد كان يرى فى الزراعة حياته ويرى فى مثل هذه الليلة لهوه ·

كان من الطبيعى أن تتوطد العلاقة بين شعبان وسباعى وتكاثرت الزيارات بينهما · وفى يوم حزم سباعى أمره بعد أن فكر وأطال التفكير وتدبر الأمر مع نفسه فأحكم التدبير وقصد الى شعبان فى بيت ابيه ·

ـ أنا احببتك حبا لا تدرى قدره

ـ هذه مقدمة لشىء تريد أن تقوله

ـ اى نعم

ـ قل

ـ اريد ان أكون قريبك وصاحبك

ـ فهمت

ـ وما رأيك

ـ لابد أن أتأكد من صحة فهمى أولا

ـ انت تفهمها وهى طائرة

ـ يكون أحسن لو قعدت

ـ أخطب اليك الست اختك قدرية

ـ هل شفتها

ـ شفتك انت

ـ على كل حال اسأل أبى

ـ طبعا

ـ ولكن لابد أن تشوفها

ـ ومن غير شوف

ـ لابد

ـ امرك ... كيف ؟

ـ هذا أمر ميسور . والحقيقة انا افضل أن تشوفها قبل أن أكلم أبى

ـ كيف ؟

ـ حتى يتكلم أبوك بعد ذلك وتجرى الأمور فى طريقها الطبيعى

ـ ولكن معنى كلامك انك لا ترفضنى

ـ انا لا أملك الرفض أو القبول

ـ اعرف ذلك ولكن معنى أن تسمح لى برؤية الست أختك ان الامر ليس بعيد الاحتمال

وتنبه شعبان الى الموقف وسارع يقول :

ـ انا لا أستطيع أن اقول شيئا مطلقا · وانا أسمح لك برؤية أختى لانى اعتبرك أخا · واحب اذا فاتحت ابى فى هذا الموضوع ان اكون واثقا أنك جاد فيه · لأن التقدم منك ثم الرجوع مسألة قد تسيل فيها دماء

ـ انا اعرف تماما وظيفة ابو سريع عندكم · ولا أحب أن أكون انا أو يكون ابى من بعض مهام وظيفته

ـ اذن تراها

ـ ياليت ·· متى ؟

ـ الآن

ـ كيف ؟

ـ اسمع ·· اخرج من الباب الأمامى قدام الخدم ولف وعد لى من باب الشرفة ··

ـ أمرك ··

وخرج سباعى وعاد وفتح شعبان حجرة مجاورة وادخله فيها:

ـ سانادى قدرية وانت تستطيع أن تراها من هنا وساجعلها تقعد بحيث لا تراك فحين تراها وتسمعها روح الى بيتك من هذا الباب الذى يخرج من الشرفة الى الحديقة الى الخارج ٠

ووجم سباعى قليلا وقال :

ـ وكيف ساقول لك انى وافقت ؟٠٠

ـ قلها بكرة ٠ لا أريد أن أعرف رأيك اليوم على كل حال ٠٠

ـ أمرك ٠٠

ودخل سباعى الحجرة وأبقى شعبان بابها نصف مفتوح حتى اذا رأته قدرية حسبت أنه نصف مقفل وانه ترك هكذا عن اهمال لا عن عمد ٠٠

ونادى شعبان من بهو البيت الأسفل :

ـ قدرية ٠٠ قدرية ٠٠

ـ نعم يا شعبان فيه حاجة ؟٠٠

وأطلت عليه من أعلى فقال :

ـ ماذا تصنعين ؟

ـ لا شىء ٠٠ أسمع الفونوغراف ٠٠

ـ أنا زهقان ٠٠ لماذا لا تحضرين الكوتشينة وتجيئين نتسلى؟

ـ حاضر ٠٠ جاية ٠٠

وجاءت وراها سباعى وفهم كل شىء ٠٠

★ ★ ★

هى النقيض الكامل للنسوة اللواتى خبلن عقله بجمالهن فى الكباريه هى الطرف الآخر من جمال الخليقة ٠٠ اذا كان سبحانه قد خلق النسوة الجميلات ليرى عباده بديع صنعه فهو سبحانه جلت قدرته قد خلقها ليعرف عباده شديد سخطه ٠٠ اذا كان هناك من لا يصدق أنه سبحانه قادر على خلق الجنة والجحيم فليضع قدرية الى جانب أى جميلة من جميلات أى مكان سواء كان هـذا المكان هو الأوبرج أو حتى قرية الصالحة ٠٠ وحينئذ ستتمثل له فى الفتاة الطبيعية الجنة كل الجنة وفى قدرية الجحيم غاية الجحيم٠ سبحانه انه على كل شىء قدير ٠٠

لهذا قال له عبد الحميد أبو ديدة أخطبها ولهذا لم يرفض شعبان فكرة زواجه بها رفضا قاطعا من أول وهلة وان كان قـد دهش من رد الفعل الذى استقبل به شعبان طلبه ، وان كان قـد ذهل لأن شعبان جعل الأمر قابلا للاتمام وان كان قد ازداد ذهوله حين وجده يسـارع الى اتاحة الفرصة له أن يرى أختـه ، فان الدهشة والذهول الآن لا مكانٌ لهما فهو بالنسبة الى الحالة التى رآها فرصةٌ لا تعوض لعز الدين بك ٠٠ فلا شك أن أباها وامهـا وأخاها لم يكونوا يأملون أن تتزوج أكثر من عامل زراعة فى أملاكهم ويكون العامل مظلوما ٠

كيف استطاع فمها أن يكون بهذه السمة وكيف استطاع أنفها أن ينفرش لينال من وجنتيها ـ اذا كان لها وجنتان ـ كل هــذه

المساحة ·· وكيف استطاع هذا الوجه المسحوب كعلامة تعجب أن يسع كل هذا الفم وكل هذا الأنف ·· وهى تغطى شعرها بمنديل ولكنه شعر متمرد صاخب يرفض المنديل ويقذف به الى أعلى ليجعل منه طرطورا · وكل هذا يهون اذا تركز البصر من الناظر على ذقنها انه مقذوف الى أعلى يوشك أن يغلق الفم وربما كان هـذا هو السبب في نحافتها المفرطة ·· فلا شك أن فمها يجد مشقة عاتية فى أن يلقف اللقمات ··

لقد وعى سباعى قبح الفتـاة وعيا كاملا ولـكن العجيب فى أمره أنه ازداد اصرارا على الزواج بها فقد أدرك لحظة رآها أن الزواج بينهمـا متكـافىء بل ان أسرتها هى الكاسـبة فيه لأنهم لا يعرفون ما يفكر فيه هو ·· الزواج متكافىء لا شك ·· هى قبيحة كل القبح وهو فقير بعض الفقر ·· فهو مقبل اذن على الزواج فى عزم واصرار ازدادا ولم ينقصا ·· وهو فى اقباله هذا غير مرغم ولا مضطر فانه يستطيع اذا لم يكن يريد للزواج أن يتم أن يذهب من غده الى شعبان ويحدثه فى حديث آخر غير هذا وسيفهم شعبان وسيعذره ·· فهو مصمم ·· وهو مصمم أيضا أن يكلم شعبان أباه حتى يكون وهدان مضطرا لاتمام الزواج ، وقد كان سباعى مقدرا لهذا الأمر منذ دبر أمره قبل أن يفاتح شعبان فى شأن الخطبة · فهو يعلم حرص أبيه وهدان على أن تعيش أسرته بعيدة عن كل المشاكل فاذا هو امتنع عن اتمام الخطبة فالويل الآخذ والانتقام الويل ··

وقد كان سباعى واثقا انه حين يطلب من أبيه أن يخطب له ابنة عز الدين سيرفض رفضا قاطعا كما كان واثقا أنه سيقبل أن يخطبها له على رغم أنفه اذا أخبره أن شعبان فاتح أباه فعلا فى الأمر وانه قبل ·· قدر سباعى هذا جميعا واقدم على هذا الحديث مع شعبان ···

وفى الصباح الباكر كان سباعى واقفـــا بجانب شعبان فى الغيط :

ـ متى ترد على ؟

ونظر اليه شعبان مليا ثم قال :

ـ تعال الليلة فى البيت ٠٠

★ ★ ★

انتظر سباعى حتى صحا ابوه من القيلولة وتوضأ وصلى صلاة العصر واستقرت به الجلسة على الأريكة وبجانبه نبوية ، وكان وهدان منشرح الصـدر فهو يقول تلك الجملة التى كثيـرا ما يرددها :

ـ لقد كان قطع ذراعى بركة ٠٠ تزوجت به نبوية بعـد أن تأكدت من قطعه ٠٠ انها تحبنى لشخصى واعفانى الله من غسيل ذراعين فى كل وضوء مكتفيا بذراع واحدة ٠

وضحكت نبوية وهى تقول :

ـ أما زلت تذكر زواجنا ٠٠ قد آن الأوان أن نفكر فى زواج أبنائنا ٠٠

وقال وهدان :

ـ ما احب هذا الى ٠٠

واندفع سباعى الذى كان يتربص بالحديث :

ـ صحيح يابا ؟٠٠

ـ صحيح جدا ٠٠

ـ اذن فأنا اريد ان تخطب لى ٠٠

ـ من ؟!٠٠

ـ قدرية بنت عز الدين بك الخولى ٠٠

وهب الأب واقفا :

ـ من ؟!٠٠

وبلت نبوية صدرها وهى تقول :

ـ من ؟!٠٠

وقال سباعى :

ـ ماذا يا أبا ٠٠ ماذا ياامه ٠٠

والجمت الصدمة لسان وهدان وذهلت الأم بعض الحين ثم قالت :

ـ ولكن يا ابنى ٠٠ هل ٠٠ هل يقبلون ؟٠٠

وابتسم سباعى وهو يقول :

ـ لقد قبلوا فعلا ٠٠

وصاح الأب مرة اخرى وهو مايزال واقفا :

ـ ماذا ؟!٠٠

وقالت الأم :

ـ قبلوا ٠٠ اذن ٠٠

وماتت الكلام على شفتيها وارتمى وهدان جالسا على الأريكة معتمدا برأسه على ذراعه الواحدة مفكرا فى كل ما فكر فيه ابنه من قبل ٠٠ وتمت الخطبة وتم الزواج ٠

★ ★ ★

— ٧ —

اقام سباعى وزوجته فى بيت وهدان ٠٠ ولكن وهدان لم يكن يطيق أن يكون البيت مزارا لعز الدين وابنه شعبان ٠٠ وما كان يتصور أن أسرة كهذه تندمج مع أسرته ٠٠ وما كان يدور بخيـاله أن شعبان يمكن أن يدخـل الى بيته فى أى وقت من أوقات اليـوم وهجست نفسه أن شعبان ربما فكر فى الزواج من فاطمة أو عابدة واذا مر هذا التفكير بذهن شعبان فهيهات لوهدان أن يرفض لأنه لم يكن يريد أن يموت مقتولا ٠٠ فهؤلاء نفر من الناس لا يقف بهم نسب أو قرابة أن يرتكبوا أى جرم ٠

سارع وهدان فابتنى بيتا لابنه سباعى ولم يشـعر أن كارثة زواج ابنه من ابنة هذا المجرم قد خفت حدتها الا يوم انتقل هـو وزوجته الكئيبة الى البيت الجديد ، ومهما يكن البيت قد كلفه فكل مال هين اذا قارنه بمصيبة زيارة واحدة من عز الدين أو اطلالة من شعبان على أخته التى تسكن فى نفس البيت الذى يعيش فيه مع نبوية وابنتيه ٠

وكان التعليم قد انتشر فى القرية انتشارا أتاح لفاطمة أن تجد شابا متخرجا فى كلية التجارة هو حسونة الزينى خطبها بعد أن تم تعيينه بالصعيد مراجعا لحسابات السكة الحديد بها ٠٠ولم يمر كثير من وقت حتى خطبت عابدة أيضا الى ياسين ضيف خريج كلية دار العلوم والذى عين مدرسا بالقاهرة ٠ وقد كان ياسين قبل أن يلتحق بكلية دار العلوم شيخا معممـــا نال ثانوية الأزهر ثم التحق بكلية دار العلوم وكان الأب والأم سعيدين غاية السعادة بهاتين الزيجتين ٠٠ وكان كلاهما يحمد الله أن عوضهما عن زيجة سباعى ٠

والواقع أن قدرية لم تكن فى أخلاقها على هذا القبح الذى طبعه الله على وجهها وإن كان بلوغ هذا القبح عسير المنال على أية حال ٠٠ الا أن الفتاة كانت رضية الخلق تعامل حماها وحماتها بكل اجلال واحترام ٠٠ وكان وهدان بحاسة العدل فيه وبمشاعر الأبوة يعلم أن قدرية لا ذنب لها فيما ركب عليه ابوها وانها تزوجت برغبة منفردة من زوجها وبشعور بالسعادة من ابيها واخيها أن وجدت انسانا أى انسان يقبل أن يتزوجها ٠

وهكذا كانت معاملة وهـــدان ونبوية لقـــدرية تتسم بالأبوة الكاملة وبالجنان الشفوق لا يفرقان بينها وبين ابنتيهما وكـــانت هى تقوم مع أختى زوجها بشئون البيت فى يسر ونعومة ٠ ولم يحدث فى يوم أن اشتجر خلاف مهما يكن هينا بينها وبين أحد من أهـــل البيت جميعا ٠٠ حتى الخادمات اللواتى استقبلنها فى وجوم واسى لقبحها وليس لأى سبب اخر هن ايضا سرعان ما أصبحت عندهن واحدة من أهل البيت لا تختلف معاملتهن لها عن معاملتهن للست فاطمة والست عابدة ٠ والخادمات فى الريف يألفن بنات الأسر

التى يعملن بها حتى لتصبح الصلة بينهن صلة أقرب الى الأخوة منها الى صلة سيد بمسود ·· فلم يكن غريبا اذن أن تفرح قدرية بخطبة فاطمة ثم عابدة كفرح البيت جميعا من سادة وخدم ·

وقد يتساءل الشباب ما هذا الزواج الذى تم بغير حب سبقه ولا لقاء ولا اتفاق بين العروسين ولو عرفوا الريف فى هذه الازمان لعاموا أن الزيجات التى كانت تتم على حب فى الأسرة المتوسطة تكاد تنعدم·ففتيات هاته الأسر لم يكن يخرجن من بيوتهن منذ اليوم الذى ينقطعن فيه عن التعليم بل ان الكثيرات منهن كن يتلقين تعليمهن فى البيت اذا كان الأب يريد لبناته أن يتعلمن · فالدائرة التى تتسع لسجنهن ضيقة غاية الضيق ولكن تفاصيل حياة كل فتاة ومدى جمالها أمر مشاع بين ابناء القرية جميعا · والخاطب حين يتقدم الى الخطبة يكون عالما بكل اسرار الفتاة التى يتقدم لها ولكن من غيرها وليس منها ·

فاحاديث القرية عن القرية · وامهات هـؤلاً الشبان يروين لهم كل شيء عن كل فتاة أو سيدة أو حتى طفلة فى القرية فينشأ الفتى وأبناء القرية جميعا فى كامل وعيه لا يغيب عن شاب من هؤلاء الشباب خبر عن أى فتاة من فتيات قريته ·

والأمر مختلف كل الاختلاف اذا كان الزواج من ابن فلاح يعمل فى الحقل وابنة فلاح آخر يعمل · فالفتيات فى هذه الفئة يخرجن كل يوم ليذهبن بالطعام الى آبائهن أو اخوتهن فى الحقول وهن يملأن الجرار وهن يشترين حاجات البيت فى أيام الأسواق فاذا كان الحب قد اندلع بين وهدان ونبوية حين كان الزمن مازالفى غيبوبة الجهل فهو مندلع أيضا والزمن قادم على نور العلم لان الفتيات

من مثيلات نبوية حين تزوجت مأزلن كشأنها فى الايام الخالية من طفولتها وصباها وباكر شبابها ٠

ربما لو كان هناك شاب من اقرباء وهدان او نبوية يتردد على البيت بصلة القرابة وشب حب بين هذا الشاب وبين واحدة من الفتاتين كان الأمر قد تغير ٠ وقد كانت الفتاتان جميلتين وكانت كل منهما تمثل نوعا من الجمال الذى لا يختلف فيه اثنان وان كان هناك مجال لاختلاف فانه سيكون تقدير مدى هذا الجمال ٠ كانت احداهما خمرية اللون ذات تقاطيع منسجمة لها انوثه جذابة وشعر مناسب فيه رخاء وسيولة ولين وكانت الأخرى عابدة شديدة البياض فى خديها حمرة واهنة وفى عينيها سواد داكن يتوسط بياضا ناصعا وفى شعرها عربدة حبيبة ٠ كلتاهما ممشوقة القوام وكانت عابدة أطول من فاطمة قليلا ولكن لا يشتكى من فاطمة قصر ولا يعاب على عابدة طول ٠

فالفتاتان كانتا جديرتين أن تحبا ٠ ولكن لم يكن هناك حبيب فالذين يرونهما من الرجال لا ترتقى آمالهن الى حبهن ٠ وكلتاهما كانت تعلم انها ستجد الزوج اللائق بها فقد كانت كل منهما تعلم انها جميلة وان اباها ممن يالف الناس ويالفون وأن امها قريبة الى مشاعر الأمهات فى القرية لم تمد يدها لاحداهن بغير المعروف والمكرمة ٠ كلتاهما كانتا تجدان المتعة فى كتاب من الكتب الكثيرة التى كان يشتريها لهما خليل وفى الراديو ما وجدت البطارية وفى الأسطوانات ٠ وقد تزوجتا كلتاهما وهما فى مطالع الشباب فلم تضق منهن نفس ولم تشعر واحدة منهما فى حياتها برهبة المستقبل ولم يهدد احداهما شبح من عنس ٠

وما هى الا سنوات قلائل حتى امتلأ البيت بابناء فاطمة وعايدة يأتون جميعا الى بيت وهدان فى الاجازات والأعياد وكان الجدان يشعران بمجيئهما ان الحياة التى عاشاها كانت مثمرة خصيبة ولم يشعر واحد منهما بالأسف أن سباعى لم ينجب وقد استطالت سنوات زواجه . وكان سباعى فى هذه السنوات تواقا الى ابن وليس ابنة ليضمن وارثا لماله الذى سيئول اليه من أبيه والذى ينوى أن ينميه بكل الخطط التى كان يعدها طوال حياته وما سترثه أيضا قدرية من ابيها وهو نصيب ان يكن نصف نصيب شعبان الا انه يظل مع ذلك موفورا ولم يكن قبح زوجته بالنسبة اليه يشكل أى أسف لزواجه منها . فقد سرعان ما تعوده حتى لم يعد يرى فيها ما رآه فى أول يوم دهمه فيه رؤياها . وهو أيضا كثيرا ما يروح عن نفسه مع شعبان . ولم يكن شعبان يجد أى غضاضة أن يصحب زوج أخته فى لياليه الصاخبة بل لعله كان يعتقد أنه اذا لم يصحب شعبان فان شعبان سيجد وسيلة أخرى يخفف بها وطأة أخته عليه وهى وطأة لا يطيق احتمالها الا ذو قوة وأيد .

وكان العرب قد بدأوا يرودون ملاهى شعبان وسباعى . وكانوا حريصين أن يجدوا لانفسهم أصدقاء فى القاهرة . وكان شعبان يتمتع حيث يسعى بأنه ابن أحد النواب وبانه ثرى وأحس أمير عربى أن مثل هذا لن يطمع فى ماله وانه يستطيع ان يتخذ منه صديقا . فاتخذه صديقا وأصبح الأمير نمر من أقرب أصدقاء شعبان أما سباعى فكانت الصلة بينه وبين الأمير صلة تعارف لا تصل الى الصداقة . وكثيرا ما دعا شعبان الأمير الى شقته بالقاهرة وكم سعد أبوه عز الدين حين دعا الأمير الى بيتهم فى القرية فأى مجد يناله وهو يصيح فى خدمه . القهوة لسمو الأمير

يا ولد • الشاى لسمو الأمير يا ولد • انه لم يحلم بزيارة وزير فكيف بامير • كان فخوراً عـز الدين بابنه وبصداقته هـذه للأمير فخرا لم يعرفه حياته كلها •

ودعا الأمير شعبان أن يزوره فى بلـده فلبى الدعوة وحـده طبعا فالدعوة لم توجه الا اليه • وحين سافر شعبان لم يكن يفكر الا فى رؤية هذه البلاد وحين استقر به المقام هناك ووجـد الثراء الفاحش الذى يعيش فيه الأمير انتهـز فرصة خلا فيهـا بهْ وسأله فى شبه مداعبة :

ـ اتقبلون فى اسرتكم غير الأمراء •

وقال الأمير :

ـ يا اخى وما البأس كلنا ابناء آدم وكلنا مسلمون

ـ احقا ما تقول يا سمو الأمير

ـ نعم هو الحق

ـ الك اخوات لم يتزوجن بعد ؟•

ـ تسع اخوات تزوجت منهن اثنتان ••

ـ فاذا طلبت منك أن تزوجنى احدى السبع الباقيات

ـ أيهن ؟

ـ وهل أعرف •• انها أول مرة أعرف أن لك أخوات

ـ وكيف تريد أن تتزوج اذن

ـ بالأنانية

ـ الأنانية تكون فى زوجة محددة

ـ اننى أوكلك عنى فى الاختيار أما العقد فلا داعى فيه للانانية فانا حاضر بين يديك

ـ اتريد أن تتزوج فى هذه الزيارة

ـ واعود الى ابى بالعروس

ـ وهل هذا معقول ؟

ـ وفيم نحتاج الى الزمن · انا بيتى موجود فى البلدة وفى ساعات اختار للأميرة احسن شقة فى القاهرة والأميرة قطعا لا تحتاج الى جهاز ففيم الانتظار ؟

ـ اسألها

ـ هل اخترت لى ؟

ـ قد اخترت

وتزوج شعبان من الاميرة العربية وعاد بها الى ابيه واقيم الفرح فى القرية ثلاث ليال سويا · ولم تكن الأميرة على كل حال فى قبح قدرية · وهو جين طلبها انما سعى الى لقبها وثرائها وما سعى الى جمالها أو انوثتها · قدر انه لابد ان يتزوج وقدر أن مثله لا يعرف للحب معنى الا هذا الذى يمارسه فى لياليه فى القاهرة وعندما تنطفىء الأنوار تتساوى جميع النساء ·



اشتد المــرض بوهــدان فقد داهمه الكبر فجأة وتوالت عليه علائمه واحس انه يعيش الأيام الأخيرة من حياته ٠ وكانت نتيجة البكالوريوس على وشك الظهور فكان كل دعائه حين كان يصــلى وهو نائم من شدة الوهن ان ربى لا تضمنى اليك حتى أعرف نتيجة خليل ٠ اريد أن أقول له يا دكتور مرة واحــدة قبل موتى ٠ ومن العجيب أن قدرية كانت حاملا فى هــذه الفترة وكانت قاب قوسين او ادنى من الولادة ولم يدع وهدان ربه أن يرى ســباعى قبل ان يموت وان كانت نبوية تدعو له دائما بطول العمر ثم تهمس وكأنها تناجى الله فى علياء ســمائه وان كان لابد يا الله فافرحه بنجــاح الدكتور خليل وبحفيد من أبنه البكر ٠

وفى يوم أصبح خليــل الدكتور خليــل وقبله أبوه وعيناه تنهمران دموعا وراح ينظــر الى السماء وهو يقول الآن اذا شئت يارب ٠٠ الآن ولك الف شكر والف حمد وابت السماء الا أن يأتيه الخبر الآخر فى نفس اليوم أن ابنه ســـباعى قد رزق بولد وكان سباعى هو من سعى اليه بالنبأ وقبل يده وسأله :

ـ لن يختار له الاسم الا أنت يا أبا ٠٠ أطال الله عمرك

وقال وهدان وهو يلتقط أنفاسه :

ـ ليكن اسمه صلاح وليكن صلاحا باذن الله

وفى المساء فاضت روح وهدان وهومت فى سماوات القرية كلمات الآية الكريمة ٠٠٠ يخرج الحى من الميت سبحانه ٠٠٠



— ٨ —

الانتخابات فى القـرى مواسم · حين تقبل يضـبح الجميع مشغولا بها لا يصرفه شيء عنها · الا أن يكون موعد زراعة أو رى أو تسميد فان الأرض لا تعـرف التأجيل والنبات لا شـأن له بالانتخـابات فهو لن يعطى صـوتا وهو أيضا لن ينال ما يناله أصحابه من مال أو من تسلية ·

ولئن كان النفاق هو أعظم العملات تداولا فى الحياة جميعها فان موسمه الاكبر هو ايام الانتخـابات · نفاق متبـادل يقـدمه المرشـحون الى الناخبين ويقـدمه الناخبون الى المرشحين مع ما يكرمونهم به عند زياراتهم · ويروى أحـد المرشحين المشهورين أنه ذهب فى يوم لزيارة بلدة من بلاد دائرته الانتخابية فلقيه الاهالى على الأعناق واتجه الركب الى بيت العمدة ليكون أول بيت يزوره المرشح فى القـرية وكان التراب قد تصاعد الى عينى المرشح حتى لم يعد يرى وهو بطبيعته ذو عيون كليله حسـاسة فهمس فى اذن العمدة أنه يريد أن يغسل وجهه وسرعان ما أخلى الطريق له الى الحمام وغسل وجهه ونشفه ووضع نظارته على عينيه · ووجد

بالحمام شيئا عجيبا ووجد لافتات فى حجم اللافتات التى استقبلته بها البلدة لا فارق هناك بينهما الا شيء واحد هو أن هذه اللافتات تحمل اسم المرشح الآخر ·

ولئن كانت الرشوة تتستر وراء الكلمات فى مألوف الحياة وان كان المرتشى يقول دائما ان المال لغيره والراشى يتظاهر بأنه يصدق فان الرشوة فى أغلب الانتخابات تسفر عن وجهها سفورا كاملا لا تتشح بساتر ولا تستخزى وراء الكلمات ولا تستحى أن تصرح · فاذا لم يكن للبلدة كبير يرشى فقد تتمثل الرشوة فى تبرع يقدمه المرشح لجامع يبنى علم الله أنه تبرع لن يكتب فى الحسنات ابدا · واذا كان كبير البلدة عفيف النفس وطلب الى المرشح الا يقدم أى تبرع فى أثناء الانتخابات سعى الصغار الى المرشح يوسعونه مطالب واستجداءات حتى ليتمنى لو كان كبير البلدة مرتشيا فطلبات الأفراد لا نهاية لها أما التبرع أو رشوة الكبير فرقم محدد وينتهى الأمر · ولما كان المكر السيء يحيط بأهله دائما فالراشون هم فى الأغلب الأعم هم الساقطون فان المرشح الواثق بنفسه لا يقبل مساومة فى فترة الانتخابات قط حتى لأعرف مرشحا كلفه المطعم والمشرب واستقبال الناخبين مبلغا لا يتجاوز بضع مئات ولكنه خشى ان يعرف أحد هذا فيظن أنه انفق فى الرشوة مالا فقال لابنه وهو ينبئه بالحساب لا أحب ان يعرف أحد أننى انفقت هذا المبلغ · وكان نجاح هذا المرشح ساحقا ·

فالمرشح السياسى الخبير بالانتخابات يعلم أن الصوت الذى يشتريه لم يصبح له وانما يصبح سلعة فى السوق · واذا كانت السلعة يدفع مشتريها ثمنها ويتسلمها فان الصوت سلعة غير امينة ولا مأمونة فهى تأخذ من كل المرشحين ثم لا تنتخب احدا على الاطلاق أو قد تنتخب من لم يدفع لها شيئا ·

ولكن حين يكون بين المرشحين مجرم مثل عز الدين الخولى فان الأمـر يختلف كل الأختلاف · فان أغلب البـلاد لا تريد أن تتعرض لزبانيته ومجرميه الـذين يسلطهم على عباد الله فيفعلوا بهم الافاعيل من حرق للزرع الى سرقة للبهائم الى قتل اذا أحتاج الأمر الى قتل · والبلاد فى الريف تخاف على زرعها وعلى بهائمها وعلى أرواحها ولكنها لاتحب ان تعلن انها خائفة فهى تتظاهر بذكاء لا يتأتى الا للفلاحين أنها تنتخب المرشح المجرم عن حب وطواعيه وليس عن خوف واذعان · وانها تختاره راغبة لا راغمة · والمجرم أعمى البصـيرة بطبيعة تكوينه ولم يكـن كـذلك لادرك أن مال العالم وسلطانه أجمع لا يساوى دم انسان برىء واحد من الدماء التى يريق . وبهذا العمى فى البصيرة يصدق أنه محبوب من دائرته وانها تنتخبه عن اقبال وحب ·· وقـد يسأل واحد من الذين لم يعيشوا فى الريف · الا يسأل المجرم نفسه لماذا يحبه الآخرون وهو قاتل سفاح يهـدد مصادر رزقهم ويقض منهم المضـاجع ويجعـل حياتهم رعبا وموتهم لعبة · نعم ان هذا السؤال قد يرد على ذهن المجرم وهو واجد عند نفسه الجواب فهو يظن ان الفلاحين ماداموا يطربون حين يسمعون حكايات أبو زيد الهـلالى سـلامة وعنتر ابن شداد والزناتى خليفة ، وما دام بعضهم يروى لبعض حكايات أدهم الشرقاوى ومن تبعـه باجـرام الى الخط فهم اذن يعجبون بالرجل القوى الذى يصادر الحياة ويجعل من نفسه جلادا لمن يقول فى وجهه لا اله الا الله محمد رسول الله · وهو منطق كما ترى سخيف وساذج · اما الطرب من الفلاحين لحكايات الأبطال فهو شعور بأن هـؤلأ الذين تروى عنهم الاساطير قد واجهـوا الظلم بمثله ودافعوا الطغيان بالقوة والعنفوان وهو ما كان الفلاحون يتمنون أن يصنعوه مع امثال عز الدين الخولى · فعنتر وابو زيد

والزناتي واضرابهم هم ازاحة الغضب الذى يغتلى فى نفوس المغلوبين على امرهم امام القــوة الغاشــمة المتمثلة فى اسلحة الطغــاة واعوانهم ٠

اما رواية الفلاحين لقصص المجرمين من معاصريهمفهى اتقاء لشرهم وتظاهر بالاعجاب بهم عساهم أن ينأوا عنهم باجــرامهم واذاهم فالفلاحون اذن بمــا يروون انما يتقون شرا ولا يعجبون بشرير الا أن يكونوا أطفالا يسمرون ما يلبثون مع الأيام أن يدركوا الحقيقة وأن يعملوا الذميم والطيب والفساد والصلاح والأعوج والقويم ٠

ولكن عز الدين الخولى وأمثاله لا يحبون هذا الحق وانما يحبون أن يهيئوا لأنفســهم انهم أبو زيد وعنتــر والزناتى وأدهم الشرقاوى والخط جميعا ٠٠ وانهم محبوبون ٠

ولهذا لم يكن عجيبا أن يزور عز الدين الخولى بلاد الدائرة فى سيارة مكشوفة وخلفه صفوف من الســيارات التى اســتأجرها للانتخابات بأسعار توشك أن تكون رمزية فأصـــحاب الســيارات أصحاب أولاد يخشون أن يخطفوا وأصــحاب أرواح يخشون أن تحــرق ٠٠ فهم اذن يقــدمون سياراتهم له بكل الحب وبالفــاظهم صائحين انها ملكه هى وأصحابها مقسمين بالطــلاق الا يتقاضوا مليما ومايزال بهم حتى ينزلوا على امره ويقبلوا ما يعرضه ٠ وقد كان ما يعرضه سفاكا للمال كما هو سفاك للدماء وكانت الانتخابات قد بدأت وكان عز الدين منتميا لحزب الوزارة التى تركت الحكم ولكنه فى نفاق واضح لا شبهة فيه ولا مراوغة ترك حزب الحكومة المولية وانضم الى حزب الحكومة الحاضرة ٠ فالرجل لم يدع فى يوم من الأيام أنه ذو مبــدأ أو انه سياسى أو أنه ــ لا قدر لأله ــ ذو شرف ٠

ولم يكن هذا الانتقال من حزب الى حزب نظرة الى الانتخابات فهو يعرف نتيجتها على الحالين وانما كان تحسبا لما بعد الانتخابات وحرصا على أن تكون صلته بالسلطة التنفيذية وطيدة فتظل ايجارات الأوقاف سارية المفعول فى العهد الجديد وتظل رغباته فى تعيين العمد ونقل الموظفين نافذة ٠ وهو قبل لم يختر الحزب الذى كان فيه عن مبدأ ولا هو انتقل الى الجانب الآخر عن اعمـــال راى ٠٠ فالشرف السياسى بعيد عن كيانه كل البعد ٠ ومادام الأمر كذلك فماذا سيخسر اذن ان هو ترك حزبا الى آخر ٠٠ لا خســـارة طبعا ٠٠ والربح مؤكد ٠

وراحت مواكب عز الدين تجـوب بلاد الـدائرة ٠ وان له لبصمة فى كل بلد زارها ٠٠ وبصمة السفاح تترك حيث تقع دماء ان لم تكن دماء بشر فدماء كرامة مسفوكة وخزى يلحق بمن اختاره الطاغية ليكون ضحيته ٠٠ والسفاح معدوم الحياء جامد الوجـه شديد التبجح فليس يراعى الا يمر ببيت قوم قتل عائلهم او سلب بهائمهم أو حرق زرعهم أو محصولهم ٠ وانما هو يتحرى أن يعمد فى اول نزوله الى القـــرية الى البيت المخضب بدمـــاء البشر أو الكرامة أو الفقر التى أسالها هو ويتعمد أعوانه الذين هم على شاكلته من الفجور أن يرفعوا عقائرهم بالهتاف له ثم ينطلق رصاص عصاباته ليعلن أن الذى يتخلف عن الهتـاف ينوب الرصاص عنــه فى هذا الهتاف ٠

وعــلا الضجيج وعــلا الصخب ودق الطبـل وعلا المزمار وتهاتفت أصوات الرصاص وغلت دماء فى العروق وصعدت حميا الجنون الى مكان العقول وسقط عز الدين الخولى قتيلا برصاصة فى رأسه وخشع الطبل والمزمار وولى المجرمون بزعامة أبو مريع

هربا وهم من كانوا يقسمون فى كل يوم أنهم يفدونه بخيـاتهم ٠٠ ولكن القسم شيء وقتله ومجيء الشرطة والتحقيق شيء آخر ٠٠ وبدا الفرح على وجوه الجميع فى القرية تحاول أن تغطيه الحوقلة ولا اله الا الله ٠٠ وسبحان الدائم ٠٠ ومحاولة التظاهر بالحـزن امام ابنه ومن بقى من أعوانه ٠٠ فمن أين لهم أن يعلموا ان كـان شعبان فى مثل اجرام أبيه أو أقل او اكثر فهم لم يجربوه بعد ولا يدرون مدى جبروته أو ضعفه ٠٠ لقـد عاش عمره تابعـا لمجرم افتراه يصبح متبوعا لمجرمين أم لا يكون الله وحده أعلم ٠٠ التظاهر بالحزن أسلم ٠٠ وما هى الا ساعة أو بضع ساعات ثم ينحسر عن القرية موكب الاجرام ويفرغون هم لأفراحهم بما خلصهم الله من هذا العاتية السفاح ٠٠ كان من المستحيل أن يعثروا على الجانى فكم من أعداء للقتيل ٠٠ وان انصرف الظن الى من نكبهم عز الدين من أهل القرية فسرعان ما يخيب هذا الظن فقد كانوا جميعا يعلمون أنه قادم الى القرية فى هـذا اليوم وكـان من الطبيعى أن يتركوا القرية اكراما لأنفسهم أن يروا وجهـــه الذى لا يطيقون رؤيته وتقية أن يبلغ منهم الغيظ مداه فتنطلق من أفواههم كلمة قد تكون فيها نهايتهم ويدرك الشرطة أن القاتل قادم من بلد أخرى وانه تخفى حتى لا يلمحه أحد ممن يعرفونه من أبناء هذه القرية وانه انتهز فرصة الهتاف والرصاص والطبل والمزمار ونال ثأره وثأر كثيرين آخرين غيـره ٠٠ ولم يدهش أحـد من كل الـذين شهدوا القتلة أو الذين سمعوا بها فهى أمر كان لابد أن يقع على هذه الصورة وليس على غيرها ٠٠ كل الذى كانوا لايعرفونه هو متى ٠٠وقد عرفوه ٠٠



— ٩ —

حين اجتمعت أسرة وهدان بعد وفاته بفترة قال خليـل كلاما قاطعا :

ـ يا أمه انت الكبيرة ولا رأى قبل رأيك ولا بعده ولكننا نعرف أن هـذا الحديث لا يطيب لك ·· ونعرف معنى أن تفقـدى المرحوم ولكننا فلاحون ·· والأرض جامدة صلبة بلا عواطف ولابد لها من خدمة وأنا لى رأى ··

وقالت نبوية :

ـ يا خليل يابنى انا ليس لى ارض ·· الأرض أرضكم ·

وقال سباعى :

ـ بل كلها أرضك ··

وقالت فاطمة :

ـ اسـمعى يا أمه انت تديرين الأرض كمـا كان يفعـل أبى ويساعدك سباعى ··

وقالت عابدة :

ـ ونعم الرأى يا فاطمة ·· وماله يا أمه ·· انت فـلاحة بنت فلاح وسباعى ابنك ··

ونكص سباعى رأسه فى مراوغة مكشوفة وقال :

ـ انا تحت امركم ·· الا اننى احب أن اتسلم نصيبى ··

وقالت الأم فى اسى وفى تؤدة :

ـ طول عمرك مستعجل يا سباعى ··

وقال سباعى :

ـ ليس فى الامر استعجال ·· هذا شرع الله ··

وقالت الأم :

ـ لا اله الا الله ·· وهل نازعك فيه أحد ·· ولكن انت كـذا طول عمرك مستعجل ··

وقال سباعى :

ـ يا أمه أبدا ··

وقالت نبوية :

ـ ان لم تكن عجولا لانتظرت على الأقل حتى تسمع رأيى ··

وقال سباعى :

ـ انا آسف يا أمه ·· الحق على ·· قولى رأيك ··

وقالت نبوية :

ــ الآن لا اقول ··

وقال سباعى :

ــ ورحمة ابى الا قلت رأيك ··

وقالت نبوية :

ــ ماذا كنت تريد أن تقول يا خليل ؟··

ــ كنت اريد أن أوفر عليكم كل هذا الحديث ·· أما الآن وبعد أن قالت فاطمة ما قالت ووافقت عابدة على كلامها فلابد أن أسمع رأيك أولا ··

واندفع سباعى قائلا :

ــ هذا ليس رأى فاطمة ولا عابدة ·· هذا رأى الشيخ ياسين والأستاذ حسونة ·

وقال ياسين :

ــ أولا يا سباعى أنا وحسونة جالسان ولم نفتح فمنا بكلمة وأقسم بعهد الله أننا لم نلتق قبل هذا الاجتماع ولم نتفق على هذا الصمت ولكننى رأيت أن هذا هو الخليق بى ويبدو أن حسونة رأى نفس هذا الرأى ·· ولو كان ما قالته زوجتى رأيى لقلته وأعتقد أيضا أنه لو كان رأى حسونة لقاله فليس علينا بأس أن نشـارك فى شئون عائلة أصبحنا منها بحق النسب ·· ولكن هذه أرضكم وزوجتى والحمد لله تعيش حياتهـا الزوجية فى رضى وأعتقد أن

اختها كذلك ·· ولهذا فأنا أرجوك أن تبعدنى عن هـــذه المناقشة ويتهيأ لى أن حسونة يرجوك نفس هذا الرجاء ··

وقال حسونة :

ـ الله يفتح عليك يا ياسين ·· ليس لى بعد ما قلت كلمة واحدة أزيدها ··

واستخزى سباعى بعض الشئ وأطرق وقالت نبوية :

ـ ألم أقل لك يا سباعى انك دائما مستعجل ··

وقال سباعى :

ـ الحق على مرة أخرى ·· قولى انت رأيك ··

وقالت نبوية :

ـ الأمر لله ·· أقول ·· أنا لا أريد من الدنيا الا أن أكون أمكم وأن أبقى فى هــذا البيت لأفتحه لكم جميعــا حين تأتون اليه وبهذا أشــعر أننى استطعت أن أرد بعض الدين الــذى فى رقبتى للمرحوم الذى عشت معه ما عشت ولم أر منه فى لحظة من اللحظات ما يسيئنى حتى اذا غضب كان يدخل الى حجرته ويقفل بابها على نفسه حتى لا أراه مكشرا ·· أرض ؟! أنا لن أشوف ·· وان كنت كما قالت فاطمة فلاحة وبنت فلاح الا أننى منذ تزوجت أبوكم لم أخرج الى الغيط ·· حتى حين كنا فقراء فى أول حياتنا رتب لنــا مصطفى السقا حتى لا أخرج للماء الجرة ·· فأى أرض هذه التى أشوفها ·· وهل تسمح سنى بذلك ·· يا أخى أنا كفاية على أن أجعل البيت دائما مستعدا لاستقبالكم ·· غير هذا أنا ليس عندى

كلام ·· وما تشوفه أنت وأخوك أنا مسئولة أن أجعل فاطمة وعابدة تقدلانه ··

وقال خليل :

ـ أطال الله عمرك يا أمه وأبقـاك لنا جميعـا ·· نعم الرأى الحقيقة أننى الآن اصبحت طبيبا ·· والطبيب يحتاج لوقته كله حتى يكون طبيبا ناجحا ·· وأنا متأكد أنكم تحبون أن يكون أخوكم ناجحا ·· والحقيقة أيضا أن سباعى كان دائما ابن الأرض يعرف كل شيء عنها وكان أبى يعتمد عليه منـذ كان سباعى صبيا وحين اصبح شابا كان هو الـــذى يشرف على الأرض ويكتفى أبى بأن يعرف منه ما فعل ·· وكان أبى يبيع المحصول وبحضور سباعى ·· أليس هذا كله حقا ··

وهينمت اصوات بالموافقة فأكمل حديثه :

ـ وأن يجلس كل واحد منا آخر السنة ويرى حساباته أمر أنا لا أحبه فقد تقتنع فاطمة بالحساب ولا أقتنع أنا مثلا ·· فالرأى عندى أن اقعد الآن مع سباعى ونرى ما أنتجته الأرض فى السنوات الثلاث الأخيرة ونقدر ايجارا معقولا يعود بالربح على سباعى مقابل ادارته للأرض وتعبه فيها ويكون كل منا على علم طول السنة بما سيحصل عليه آخر العام ··

وقالت الأم فى حسم :

ـ كلام معقول ··

ونظرت فاطمة الى أختها وبادلتها عابدة النظر وتلمست كل منهما رأيا عند زوجها فلم تجدا اعتراضا وقالت فاطمة :

ـ موافقة ..

وقالت عابدة :

ـ نكتب عقود ايجار ..

وقال خليل :

ـ نكتب عقود ايجار ..

وقال سباعى والفرحة تملأ عليه منافذ الهواء :

ـ على بركة الله ..

★★★

حين خلا سباعى الى شعبان بعد ماتم أبيه سأله شعبان عما فعله مع اخوته فأخبره .. وفكر شعبان مليا .. ثم قال :

ـ بعد الأربعين أريدك فى أمر مهم ..

★★★

كان شعبان انسانا آخر غير أبيه وغير الذى عرفه فيه أبوه .. فان تكن الأرض هى كل حياة أبيه يقتل فى سبيلها الناس ويعتصر دماء البشرية فان شعبان لم يكن يرى فى الأرض الا وسيلة تمكنه من قضاء أيامه مقلوبة ومن أن يجعل نهاره كله سودا لأنه فيه دائما يحب أن يكون نائما ولياليه كلها بيضاء بالنور الملقى على أجساد الراقصات وهن بعض كاسيات أو حمراء بالضوء الشاحب الهارب فى خجل من جسومهن وهن عاريات.. تلك هى الحياة عنده .. وان كان فى حياة أبيه يعاونه فى الزرع ويغضى عما يفعله بالبشر فما كان هذا منه الا لينال ما ينفقه

على صنعته الوحيدة فى الحياة وهى المتعة والمتعة المشتراة وانها لباهظة الثمن ·

وان كان أبوه يحب أن يكون عضـوا فى مجـلس النواب معتليا كرسيه على الرعب يثيـره فى النـاس بالقتـل والسرقة والغصب والنهب والجبروت فان شعبان كان ينظر الى مجلس النواب هذا على أنه تسلية لا طائل تحتها مادامت لياليه لا تنتهى بمـا تنتهى به لياليه هو ·· وأن كان فى حياة أبيه مرغمـا على الزراعة والسعى فى الانتخابات ·· فلا ارغام اليوم عليه·· وقد كان شعبان فى القمـة من سعادته بزوجتـه الرضـية التى لا ترى فيما يفعله من سهر أمرا غير عادى وانما هو مألوف ما يصنع الرجال وما عليهم فى ذلك من بأس ماداموا آخر الليل أو أول النهار يناموت فى أسرة منـازلهم ·· وكانت قـد ولدت لشعبان سمية ووليد فهى مشغولة بأبنائها والمال عندها دائمـا موفور بما يرسله اليها اخوها أو يعطيه لها حين يزور مصر ·· وهى تشترى ما يعن لها أن تشترى وربما كان الشىء الوحيـد الذى كانت تتوق اليه هو زيارة أمريكا وأوروبا وقد كان زوجها يعتذر عن عدم تنفيذ هذه الرغبة بمشغوليته فى أملاك أبيه مخفيا الأسباب الحقيقية التى يتقدمها جهله باللغة ولكنه أمام الحاحها وافق على السفر معللا نفسه أن اللغة التى يجب أن يتحدث بها عالمية وربما وجد فى باريس مثـلا من يفهمها خيرا ممـا يفهم الفرنسية نفسها وحدد لسفره انتهاء المعركة الانتخابية · فحين قتل فيها أبوه تأجل الموعد الى أن تمر فترة مناسبة وهكذا كان شـعبان فى مشاغله وآماله بعيـدا كل البعـد عن مشاغل أبيـه وآماله ·· وكان أبعد ما يكون عمـا يفعله أبو سريع وقـد كان واثقا أن أبو سريع لن يبقى معه بعد موت أبيه الا ريثما تمر فترة

تسمح له أن يجد مستأجرا آخر ·· فما كان شعبان يتصور أن يقتل أحدا فى سبيل أى شىء الا أن يعوقه عن متعته فى الملاهى ·

ولهذا لم يكن غريبا أن يقول شعبان لسباعى بعد احياء ذكرى الأربعين لوفاة أبيه :

ـ ما رأيك يا سباعى أن تصنع معى ما صنعته مع اخوتك ؟

وذهل سباعى ·· أحقا ما يسمع ·· ويسأله أيضا ما رأيك ·· وهل فيها رأى ·· لقد بدأت الآمال تتحقق من أوسع الأبواب·

★★★

حين غادر سباعى بيت شعبان قصـد من فوره الى بيت أبو سريع ··

ـ السلام عليكم ··

ـ أهلا سباعى بك مرحبا ·· القهوة يا ولد ·· يا مرحبا أهلا وسهلا ··

ـ أهلا بك يا أبو سريع ·· قهوتك مشروبة يا أبو سريع الا أننى أريدك فى كلمتين ··

ـ تحت أمرك ·· عن اذنكم يا رجال ··

وينظر الرجال بعضهم لبعض فى دهشة شديدة ثم يقومون الواحد منهم تلو الآخر وقبل أن يصل أولهم الى الباب يصيح سباعى :

ـ يا سلام ···

ويقف سلام ويلتفت اليه فى اجلال :

ـ نعم يا بك ··

ـ انتم طول عمركم رجال ··

ـ تحت أمرك ··· مر ··

ـ هذه الزيارة ··

ـ مالها يا بك ··

ـ لم تحصل ·· لم تتم ·· لم أجيء الى هنا ·· لم يرنى أحد منكم ··

وابتسم سلام وهو يقول :

ـ وهل جئت يا بك حتى يراك أحد منا ·· هيا بنا يارجال

وخرج الجميع وهم يضحكون تشيعهم جملة سباعى :

ـ الم اقل أنكم طول عمركم رجال ··

وحين خلا المكان بسباعى وأبو سريع قال سباعى :

ـ هل اتفقت مع أحد بعد عز الدين ···· بك ·

ـ يا بك الأربعين كان أول أمس ·· من يمكن أن يكلمنى قبل أن يمر الأربعين ··

ـ لا تتفق ··

ـ أمرك ··· فيه حاجة ··

ـ لا تتفق وبس ·· أفهمت ؟··

ـ أمرك ··

★ ★ ★

— ١٠ —

متولى ابو منصور هو احسن فلاح فى ارض وهدان جميعا وقد انتج فدانه فى العــام الاول من تولى سباعى الأرض سبعة قنــاطير . وكان نظام الزراع مع الملاك خاضعا للمحمول وهى نظام يشبه الايجار الا ان السداد فيه يكون عينيا أى بالمحصول نفسه . وكان هنا السداد يسمى المحمول وقد غلبت هذه الكلمة على النظام كله فكان يقــال ان الزراعة بالمحمول وكان محمــول الأرض الــذى يجب ان يســدده الفلاح فى ارض وهــــدان هو ثلاثة قناطير عن فدان القطن وثــلاثة ارادب عن فدان القمح واربعة أرادب عن فدان الذرة . وكان متولى يزرع خمسة افدنة وكانت الأرض تنتج فى مألوف عادتها خمسة قناطير وكان الأصل ان يكون ثلاثة أخماس المحصــــول للمالك وخمساه للزارع فان كانت هناك مصاريف زراعية تخصم بنفس النسبة مما تبقى من نصيب الفلاح ويتقاضى المالك هذه المصاريف التى غالبا ما تمثل الكيماوى والرى وجمع قطن عينا أيضا من محصولها .

وحلا لسباعى ان يبدأ حياته الجديدة التى أعـد نفسه لها منذ باكر الأيام مع متولى أبو منصـور الذى يزرع عنـدهم منذ عشرين سـنة ونيف · أرسـل اليه وبدأ يحاسـبه على ملأ من الناس :

ـ كم أنتج الفدان عندك

ـ ياسى سباعى افندى

ـ بك يا ولد

ـ ولا مؤاخذة بك الا تعرف

ـ أعرف ولكن اريد الرجال ان يسمعوا

ـ سبعة قناطير

ـ هو ما قلت

ـ انا لا اكذب عمرى وانت تعرف

ـ سبعة قناطير فى خمسة أفدنة يكون كل محصولك كم

ـ لا حول ولا قوة الا بالله

ـ انطق

ـ خمسة وثلاثون قنطارا

ـ حلو جدا ·· فلماذا وردت خمسة عشر قنطارا

ـ عجيبة ·· ثلاثة فى خمسة ·· أليست خمسة عشر · وليس على مصاريف أنا اشتريت الكيمساوى ورويت وأنا الذى جمعت أيضا ·· ماذا تعوز منى ياسى سباعى أفندى ·

ـ بك

ـ بك

ـ اليس المحمول مخامسة

ـ كان كذلك حقا ولكن المرحوم والدك لما رأى الأرض تنتج عادة خمسة قناطير جعل المحمول ثلاثة قناطير حتى ينال الفلاح الذى يجتهد حقه وينال المقصر جزاءه عن ضعف المحصول وانت نفسك كنت تحصل منا المحمول منذ سنوات على هذا الأساس

ـ ولكنى السنة اريده مخامسة

ـ السنة هذه غير معقـول ·· اما اذا كنت تريد ذلك فى العام القادم فامرك ولكن رأيى ان هذا ليس من مصلحتك وليس عدلا أيضا ·

ـ وهل لك رأى

ـ وكان المرحوم والدك يأخذ به منذ كنت أشيلك على كتفى

ـ اخرس يا ابن الكلب

ـ ابن الكلب ·· اهى حصلت يا سباعى ··

ـ بك ··

ـ من غير بك ·· سلام عليكم

وانصرف متولى ونادى سباعى

ـ يا ابو سريع

وجاء أبو سريع من الحجرة الأخرى

ـ نعم يا بك

ـ قطن متولى ابو منصور يذهب رجالك اليوم ومعهم بعض رجال تختارهم أنت وتعبئونه فى الأكياس وتجيئون به الليلة ·

ـ امرك يا بك لكن فقط

ـ مالك

ـ سمعت وهو جالس معك من الرجال انه باع قطنه

ـ باعه ؟

ـ نعم

ـ وسلّمه ؟

ـ اليوم وقبض ثمنه

ـ تذهبون اليه وتطالبونه بثمن سبعة قناطير منه · انا لا أظلم أحدا ·· انما حقى لابد أن آخذه

ولم يجد الرجال الجالسون والذين يقف أمامهم ابو سريع بكل تاريخه فى موقف التابع الخاضع لسباعى بدا من أن يقول قائلهم :

ـ عداك العيب

ـ رجل وابن رجل طول عمرك

ـ وكثر خيرك لانك لم تؤدبه بثمن قنطارين جزاء طريقته فى الكلام مع سعادتك

ويقول سباعى الذى أحس ان مراسم التتويج الاجرامى قد تمت له بهذا النفاق

ـ المؤدب ربنا ·· أنا أريد حقى فقط ·· اذهب انت يا أبو سريع

ـ امرك يا سعادة البيك

وينصرف أبو سريع ويأخذ الرجال الجالسون مع سباعى فى حديث آخر وحين ياتى أبو سريع يبادره سباعى :

ـ هه ·· أحضرت المبلغ

ـ يا سعادة البك هذا الرجل قليل الادب

ـ كيف ؟

ـ قال لن ادفع شيئا ولن أخاف منك يا أبو سريع ولا من سيدك الجديد واعلى ما فى خيلكم اركبوه

ويقول سباعى :

ـ أهو قال هذا

ويقول أبو سريع

ـ يا سعادة البك وماذا يجعلنى اتقول عليه وانا لم أخاطبه فى حياتى الا اليوم

ـ هيه ·· طيب تمنه الى الله ·· روح انت يا أبو سريع

والتفت سباعى الى الرجال وقال

ـ اذا منعته من الزراعة عندى ايلومنى أحد

وقال أكثرهم نفاقا

ـ وهذا قليل عليه

وقال سباعى فى تظاهر بالعفو والرحمة

ـ يكفيه هذا وانما أردت فقط ان تكونوا شاهدين

مر على هذه الواقعة يومان فقط واذا بلدة الصالحة تعلو بها أصوات الأعيرة. وما ان تنكتم حتى يعلو الصراخ وتنقلب البلدة كلها الى بيت متولى ·· لقد أطلق عليه الرصاص وهو جالس مع زوجته يتناول العشاء وعلى ركبته ابنه الأصغر الذى كان فى الخامسة من عمره وقد افنى الرصاص ثلاثتهم وجاءت الشرطة وجاءت النيابة واستقبلهم العمدة والخفراء وجرى التحقيق ولم يكن أحد فى القرية يجهل القاتل والآمر بالقتل جميعا لأن أحدا فى القرية لم يكن يجهل تفاصيل ما حدث بين سباعى ومتولى · ولكن من ذلك الذى يريد أن يلقى مصير متولى · وازداد سباعى فجورا فأعلن أن مصاريف الدفن والمأتم

عليه · فهو رجله وهو مسئول عن دفنه هو وابنــه وزوجته وعن مأتمهم أيضا · وبلغ أقصى القمة حين وقف يستقبل العزاء يحف به عن يمين شاكر الابن الأكبر لمتولى وعن يســـار عبد التواب الأبن التالى لشاكر ·

وعرفت القرية أو المنطقة أن سباعى قد جلس على عرش سيىء الذكر المجخوم عن الدين الخولى بك ·

ثنى سباعى بحسن بن عبد الحميد أبو ديدة الذى أوصاه بابنه هذا لقاء نصيحته له أن يتزوج ابنة عز الدين · طلب سباعى الى حسن أن يبيعه أفدنته الثلاثة فرفض حسن ·

ـ ماذا يقـــول الناس عنى · باع أرض أبيه · خائب أنا اذن لا اكسب من صنعتى

ويقول سباعى وكأنه ينصحه :

ـ يا بنى انت فى دكانك ولا تســتطيع زراعة الأرض وهم ينهبونها منك

ـ كل هذا ولا أنى ابيعها

ـ بل تبيعها

ـ أهذا تهديد يا سباعى بك

ـ ليكن كذلك

ـ تقتلنى كما قتلت متولى

ـ وهل انت كبير

ـ كبير جدا

ـ نشوف

ويحرق المحصول فى أرض حسن وتسرق بهائمه فى ليلة واحدة ويأتى خاضعا وعيناه نيران ولهيب وغيظ وتمرد ولكنه تمرد المكبل الذى لا يستطيع من كبوله فكاكا

ـ ابيع يا بك ابيع وامرى لله

ـ بنصف الثمن الذى عرضته

ـ بنصفه ؟!

ـ اذا كان يعجبك

ـ يعجبنى فابنائى صغار ولن يجدوا من يربيهم من بعدى ٠ ابيع ٠ وان قلت بغير ثمن ابيع أيضا

وامر سباعى وكتب العقد ٠

ثم استدار الى سليمان النواوى ٠ ذلك الرجل الذى أتاح لأبيه ان يشترى عشرة أفدنة بالدين الذى استدانه منه ٠ ذلك الرجل الذى قبل سباعى يده يومذاك وغضب أبوه من فعلته تلك مرتئيا فيها بعدا عن الكرامة ٠ هذا الرجل صاحب ذلك الفضل عليهم استدار اليه سباعى بجبروته الجديد ؛ وكان الرجل قد علت به السن واستطاع أن يجمع الى الستة افدنة عشرين أخرى

وكف عن التجارة خاشيا الا يتيح له وهن جسمه أن يقدم لهـا ما تستحق من سعى ٠ ومكث الرجل يربى أولاده بريع أرضه ٠

استقدمه سـباعى الذى لم يسـتطع أن ينسى ان اباه كان يستطيع ان يشترى هذه الأفدنة السـتة وعف عنها بكبرياء من لا ينتهز الفـرص وينهش ما ليس له بحق ٠ واستطاع فى جمود مشاعره وتحجره أن ينسى ان سليمان ابدلهم بالستة افدنة عشرة ونسى بعواطفه الصلبة البخيسة صداقة سليمان لابيه منذ وقف ابوه الى جانبه فى أزمته ٠

استدعاه :

ـ اشترى الافدنة الستة

ومع ان سليمان رجل عجوز خبر من الحياة أوجه الحياة جميعا ومع انه عاش اغلب عمره تاجـرا يرى ما لا يراه الناس ويعرف من القوم اسافلهم والاكرمين منهم ٠ ويعرف من الاسافل أشدهم انحطاطا ومن الاكرمين اعلاهم يدا ٠ ومع انه عرف من الحياة كل دناءتها وكل ما فيهـا من قذر ودنس ، ومع أنه أصبح وهو لا شىء يدهشه ولا يثير فيه تعجبا ٠٠ مع كل هذا ٠٠ فغر الرجل فاه ٠ هذا نوع من فجور الحياة لم يتصور انه ملاقيه ٠٠ ومن هذا الولد الذى قبل يده ٠ ومن ابن أعز صديق له ٠

وتمالك سليمان أمر نفسه ولكن بعد فترة ليست بالقصيرة سيطر فيها الصمت الصاخب فى نفســه والصمت المتبجح من محدثه

ـ آه ٠٠٠ أنت لم تنس ان اباك كان يستطيع ان يشتريها وعف

ويقول سباعى فى جرأة :

ـ عليك نور

ـ ولكنك نسيت أننى اشتريت لابيك عشرة أفدنة بدلا منها

ـ ونسيت هذا ولن اذكره مهما ذكرتنى به

ـ كم تريد أن تدفع

ـ بكم تريد ان تبيع

ـ اما انا فلا أريد أن ابيع · ولكننى تاجـر وأعرف أنك حـددت الثمن واعرف أيضـا اننى لن أستطيع ان اناقشك فهـل اعددت العقد

ـ جاهـز

ـ اين هو

ـ ها هو ذا

ـ وهذا توقيعى ·· سلام عليكم

ـ ونقودك

ـ ارسلها حين تريد مع أبو سريع فهو الذى صنع الصفقة ·· سلام عليكم



— ١١ —

كان صلاح طفـلا لا يدرى ما يصنعه أبوه وحين بدأ ينطق الكلام ويفهمه وجـد اباه فى مكان الصـدارة من البلدة جميعا ووجد الناس لا تخاطبه الا بكل اجلال ، وحين بلغ الخامسة من عمره وجد أبوه أن من الطبيعى أن يذهب الى المدرسة وقد أحب أن يبعده عن القرية فقد خشى أن يجتمع بالفلاحين فيعـرف منهم فى طفولته ما لا ينبغى أن يعرفه عن أبيه · أما القاهــرة فهى بعيدة وابنه هناك سيكون فى تيه عن أمر أبيه وأمر أبيه هنـاك لا يعرفه أحــد · وان كان سيلتقى فى القاهـرة مع ياسين زوج اخته ومع عايدة اخته الا ان أحـدا منهما لن يذم ابا الى ابنــه وخاصــة اذا كان الأب هو المتصرف فى أرضهم · ومهمـا يكن ظالما لأخته ولخليل متابيا أن يرفع الايجار الذى ارتفع فى جميع الأراضى الا انه مع ذلك كان واثقا أن أحـدا من الاثنين لن يذم أبا عند ابنه · وسيرى هناك الدكتور خليل عمه ولكن خليل ابعد ما يكون عن ذلك فان من هو فى مثل علمه لا يتصور أن يذكر أبا عند ولده بما لا يرضاه ·

كلم سـبـاعى ياسين فى التليفون وطلب اليه أن يبحث له بجوارهم فى المنيرة عن شقة تسكن فيها قدرية وابنها وقدر انه بقربه من ياسين المدرس سيكون فى رعاية منه طيبة خاصة وانه فى مثل سن ابنه عمـر وسيذهبان مدرسة واحـدة ٠ وتم الامر كما أراد تماما وذهب سباعى الى القاهـرة ورأى الشقة وكانت فاخرة واسعة فقد استقر فى نفسه أن تكون بيتا له فى القاهـرة يلتقى فيها بمن يرى دعوتهم الى غـداء أو عشـاء اذا اقتضت مصلحة أن يدعو الى غداء أو عشاء ، وبعد أن وقع عقـد الشقة عزمت عليه أخته وزوجها أن يبيت ليلته عنـدهما ولكنه رأى أن يبيت عند أخيه خليل ٠ واستقبله خليل بترحاب أخ شريف يحب أخاه ويتغـاضى عما يرتكس فيه مما لا يرضـاه الشرفاء وبعـد العشاء قال خليل :

ـ قل لى يا سـبـاعى ٠٠ من المؤكد انك عنـدك من المال السائل ما تريد

ـ الحمد لله لا اشكو

ـ لا تخف انا لا أنوى أن أستلف منك فالحمد لله أنت لا شك تعرف اننى اكسب من عملى مكسبا يكفينى ويزيد

ـ ولماذا لم تفكر فى الزواج

ـ فكرت

ـ واخترت ؟

ـ وسأدعوك قريبا لتخطب لى وتتفق على كتب الكتاب

ـ أعرفها ؟

ـ لا أظن انها ابنة استاذ لى وطبيبة زميلتى

ـ وستجعلها تعمل ؟

ـ طبعا هـذا أمر لا تتصـــوره أنت ولكن هل تظن مصر تستطيع أن تستغنى عن جهد طبيب أو طبيبة ٠

ويقول سباعى فى دهشة :

ـ مصر وانت مالك وما لمصر

ويقول خليل فى حسم :

ـ طبعا هذا موضوع لا شأن لك انت به

ـ انا من مصر ٠٠ الست كذلك

ـ سباعى اعمل معـروف ٠٠ يا أخى لكل منا طـريق فى الحيـاة لا يتوازى معه ولكن يتقـاطع ٠٠ ولا يمـكن ان أفهمك وانت أيضا لا يمكن أن تفهمنى فدع هـذا وقل لى ٠ هل عنـدك مانع أن تشترى أرضى

ـ مطلقا ٠٠ كم تريد فى الفدان

ـ انت الذى تسألنى ٠ اننى لو كنت ابيعها لغريب لجعلتك انت الذى تبيعها عنى

ـ وهو كذلك ٠٠ اشتريت

ـ ادفع الثمن ولن اناقشك فيه واكتب العقد الآن

وكتب سباعى الشيك وكتب خليل العقـد وتمت الصفقة ٠

وقال سباعى :

ـ اين مفتاح شقتك

ـ فى جيبى

ـ نم أنت اذن وسأترك لك المفتاح على هـذه المنضدة حين أعود حتى تخرج الى عملك ولا توقظنى ٠

ـ الى أين انت ذاهب

ـ الم تقل ان الطريقين متقاطعان

ـ فقط اردت أن اعلم

ـ وانت تعلم ولكنك تتخابث على

ـ ظننت أنك ستقضى الليـلة معى نسمر فأنا لا نلتقى الا نادرا

ـ انت ستنام

ـ ما أخبار أمى ؟

ـ قاطعتنى

ـ ولهذا أسالك ٠٠

ـ لماذا ؟

ـ انها قادمة لتعيش معى

ـ أحسن

ـ أتظن ذلك

ـ أصبحت لا تحتمل البلد

ـ لا يخرج امى نبوية من البلد الا ما لا تطيق

ـ مادمنا اتفقنا أن الطريقين متقاطعان الا يحس بنا الا يناقش أحدنا طريق الآخر

ـ على كل حال اشكرك

ـ العفوه علام ؟

ـ انك جعلت امى تأتى لتعيش معى

ـ وسأرسل لك ايجار أرضها كل سنة

ـ بل أظنها ستوكلنى فى بيع أرضها هى أيضا

ـ وعلام توكلك ٠٠ اكتب وخذ العقد وخذ الشيك ولتوقع هى العقد عندما تحب

ـ وهو كذلك

وتمت الصفقة ٠٠ وقال سباعى :

ـ والآن أين المفتاح ؟

ـ هل انت مصمم

ـ لو شفت ما اشوفه انا حين اجىء الى مصر لما سالتنى هذا السؤال ·· اتظن نفسك عائشا يا دكتور

ـ علم الله ان حياتى هى الحياة ·· ولكن فليتقاطع الطريقان ولا نتقاطع نحن وخذ المفتاح

ـ ولكن تقاطع الطريقين لن يمنعك من رعاية صلاح فانى ساتركه تحت اشرافك وسجلت اسمك فى المدرسة وليا لأمره ·

ـ هل رايتنى عمرك اتخلى عن واجبى · انا اعرف واجبى دائما وصلاح ابنى كما هو ابنك

ـ اعرف ذلك سلام عليكم ··

وخرج سباعى الى سهراته التى بدأ تاريخه معها فى صحبة شعبان والتى اصبح مجيئه الى مصر مرتبطا بها ارتباطا يوشك ان يكون هو الوحيد ·

★★★

حين جاءت نبوية الى بيت خليل واعطاها ثمن ارضها سالته :

ـ ماذا أنت صانع باموالك

ـ ساشترى بها كمية من الأسهم

ـ وماذا تصنع هذه الأسهم

ـ تدر دخلا احسن من دخل الأرض على الأقل

ـ اذن فاسمع اشتر بثمن ارضى انا أيضا كمية من الأسهم باسم أختك فاطمة واختك عابدة واسمك للذكر مثل حظ الانثيين .

ـ انا متنازل عن نصيبى لهما ٠

ـ الله يفتح عليك ويعوضنى فيك عما أصـــابنى به من اخيك ٠ فقط اريد الربع طول حياتى ٠

ـ وانا ادفع لك قيمة الربع واتركى انت الربع للبنات

ـ ٠٠ اطال الله عمــرك ولكن لا ، ٠٠ ان اعيش على نفقتك لا مانع فهذا حقى عليك لكن مصروف يدى لابد أن يكون من دخل مالى انا ٠٠ حين اريد أن اعطى احدا من أولاد اختيك هـــدية لابد أن تكون من مالى انا ٠ اعط أنت لاختيك ما تشــاء لتعينهما اما انا فريع الاسهم يكون لى طول حياتى ٠

ـ امرك ٠ وسيكون كذلك ٠



— ١٢ —

حين اقتربت الاجازة الصيفية كان سباعى فى بيته بالقاهرة فى المامة سريعة فاذا صلاح يقول له :

ـ بابا ستأخذ الاجازة الصيفية بعد أسبوعين ٠

ووجم سباعى فما كان يفكر فى هذه الاجازة فطالعته من حيث لا يحتسب ودون وعى سال ابنه :

ـ وماذا تريد أن تفعل

ـ اذهب للبلد

ـ وماذا تصنع فى البلد

ـ اركب الحمير والعب الكـرة ٠٠ اننى اريدك أن تشترى لى كرة العب بها مع اصحابى فى البلد

ـ اى بلد التى تذهب اليها

ـ بلدنا .. انا احبها جدا يا بابا

ـ يا بنى البلد تراب وعفار

ـ ولكنك تعيش فيها مع التراب والعفار

ـ شغلى

ـ رفضت فى العيد واجازة نصف السنة أن تذهب بى الى هناك .. ارجوك يا بابا ... والنبى

ـ الم اجىء اليكم فى العيد

ـ انت جئت نعم ولكن البلد لم تجىء

ـ وكيف تريد البلد أن تجىء

ـ اذهب اليها انا

وفجأة ومضت فى ذهن سباعى فكرة لم تكن خطرت له على بال

ـ انت تلعب مع من طول السنة

ـ مع اصحابى فى المدرسة ومع عمر ابن عمتى

وهنا فقط تدخلت قدرية فى الحديث :

ـ الله يخليها عابدة لا تتركنى ليلا ولا نهارا اما ياسين افندى فلابد ان تقدم له هدية عظيمة انه يعامل صلاح كأنه ابنه عمر وزيادة لا يشغله شىء فى الدنيا أن يعطيهما كل يوم الدرس

ويزاجع معهما دروس المدرسة فاذا أحسن صلاح الاجابة أعطاه مكافأة من النعناع والملبس والشيكولاتة التى لا يخلو منها درجه ابدا .

والتفت سباعى الى صلاح

ـ مبسوط منك عمك ياسين يا صلاح

ـ كل يوم آخذ انا النعناع والملبس والشيكولاته وعمر لا يأخذ

ـ انت اشطر من عمر

ـ بزمان.

وقال سباعى :

ـ ما رايك أن تذهب أنت وعمر وعمتك عايدة وعمك ياسين الى الاسكندرية لتصيفوا هناك

والتفت الى قدرية وقال لها :

ـ وتكون هذه هى هديتنا الى ياسين وعائلته

وقبل أن تجيب قدرية يقول صلاح :

ـ ما الاسكندرية هذه يا بابا انا لم ارها عمرى

ويقول الاب فى سخرية :

ـ والله يا ابنى ولا انا ولكن ماذا افعل .. الغلبة لها أحكام

وتقول قدرية وهى مترددة فى السؤال وكأنها تعرف الاجابة

- لماذا لا تريد صلاح أن يذهب الى البلد

- اريده بعيدا عنها

- الا ينبغى أن يتصل بالأرض

- ليس الآن .. حين يكبر

وفى خوف ولعثمة قالت قدرية :

- اذا كنت لا تريده أن يعرف ما تفعله فلماذا تفعله

وفى حسم قال :

- أنت التى تقولين هذا يا بنت عز الدين الخولى دعى هذا الكلام لغيرك

- ومن قال لك انى كنت راضية عما يفعله ابى

- اذن فما دمت لم تكونى راضية فمن الطبيعى الا يذهب صلاح الى البلد ..

وحاولت أن تقول :

- ولكن ...

وقاطعها سباعى فى لهجة الصاتية التى أصبحت طبيعية عنده

- انتهينا .. لا مناقشة

ونكست قدرية راسها فى استسلام

ـ امرك

ومر هذا النقاش على ذهن صلاح وكأنه لغة أخـرى غير التى يعرفها فهو لم يفهم من الحديث شيئا وكان يفكر أن يسأل ولكنه حين رأى الطريقة التى ختم بها أبوه الحديث أخذه الرعب من ملامح أبيه ولهجته فنكس رأسه فى استسلام وراحت عينـاه ترتفعان الى ابيه مخالسة ثم ترتدان الى اسـفل كأنما يخشى أن يراه أبوه وهو يتجرأ على النظر اليه · ورمقـه أبوه فى حالة هذه فحاول أن يزيل ما علق بنفسه من آثار الحديث

ـ وماذا يدرس لك عمك ياسين ؟··

ـ القرآن ··

ـ القرآن ؟··

ـ نعم ·· فأنا أحفظ الفاتحة وأحفظ الكثير من السور ·

ونظر سباعى الى زوجته وسألها :

ـ هل يدرسون لهم القرآن فى المدرسة ؟··

وقبل أن تجيب أجاب صلاح :

ـ لا ·· ولكن عمى ياسين يدرس لنا القرآن مع دروس المدرسة ··

ولم يجد سباعى شيئا يعلق به الا أن يقول :

ـ ما رأيك أن تذهب الى الاسكندرية ؟..

ـ أنا لا أعرفها ..

ـ ستعرفها معا ..

ـ هل ستبقى معنا هناك ؟..

ـ أطل عليكم كما أفعل هنا .. هيه ما رأيك ؟..

ـ أريد أن أذهب الى البلدة ..

وحسم سباعى الموقف :

ـ ستذهب الى الاسكندرية ..

وفى الصباح توجه سباعى الى الاسكندرية وحين نزل من القطار سأل عن فندق وذهب الى فندق سيسيل .

وهناك طلب من ادارة الفندق أن تدله على سمسار شقق وبدأه :

ـ أريد شقة ..

ـ للمصيف ؟..

ـ طبعـا ..

ـ تقصد مفروشة ..

وفكر سباعى قليلا فوجد نفسه لا يفهم السؤال فلم يجـد بدا من أن يسأل :

ـ ماذا تقصد ؟··

وفهم السمسار انه أمام رجل لم يطأ الاسكندرية من قبل فقال :

ـ هناك شقق يمكن أن تستأجرها طول العام وتفرشها أنت وهناك شقق تؤجر للصيف فقط وتكون مفروشة ويكون ايجـارها مدة الصيف فقط أو جزءا منه اذا شئت أنت وكيفك ·

وفكر سباعى قليلا ··

ـ والشقق التى أستأجرها طول العام أفرشها أنا ؟··

وقال السمسار :

ـ نعم وطبعا تسـتطيع أن تأتى اليهــا فى الصيف وفى الشتاء كما تريد ·· تصبح شقتك ··

ـ وكم ايجار هذه وكم ايجار المفروشة ؟··

ـ على حسب الحجم والمكان ··

ـ اقصد الفرق كبير بين المفروشة وغير المفروشة ؟

ـ طبعا المفروشة تكون اغلى بكثير لأنك تستأجرها بفرشها ولمدة ثلاثة اشهر فقط على الأكثر ··

ـ والسنة الجائية اذا أردت أن أصيف ؟··

ـ نستأجر لك شقة أخرى ··

ـ وأظل كل سنة أبحث عن شقة ؟..

ـ طبعـا ..

ـ اذن فأنا لا أريد شقة مفروشة ..

ـ عظيم .. تريد شقة طول السنة ..

ـ طول السنوات ..

ـ طبعا .. العقد يتجدد من تلقاء نفسه ..

ـ أريد من هذه ..

ـ كم تريد أن تدفع ؟..

ـ أريد شقة واسعة وعلى البحر والفلوس لا تهم ..

وكان ما أراد ..

★★★

— ١٣ —

حين صدر قانون الاصلاح الزراعى الأول لم يمس سباعى فقد كانت ارضه لا تزيد عن المائة فـدان الا قليـلا وكانت أرض زوجته تقارب السبعين فـدانا ·· أما شعبان فقـد كانت أرضه تقارب المائة والأربعين فدانا ·· ولكنه أحس بمـا تحمله هـذه القوانين فى طواياها فطلب الى سباعى :

ـ بع أرضى ··

ـ ماذا تقول ؟··

ـ أنا لست فلاحا ·· والدولة أصبحت لا تحب الملاك ··

وفكر سباعى قليلا ·· انه يرى فى كلام شعبان حقا ولكن بيع هذه الأرض سيجعل المساحة التى يشرف عليها تتقلص فنظر الى شعبان طويلا ثم قال :

ـ ما رأيك أبيع أرضك ولا أبيعها ؟··

ـ وكيف ؟··

ـ اكتبها بأسماء فلاحين آخرين واستكتبهم أوراقا بمبالغ من ثمنها ··

ـ الله أكبر ·· أحاول أن أهرب من الحكومة فأقع فى أيدى ناس الله أعلم بذمتهم ··

ـ أيجرؤ أحد منهم أن يطالب بالأرض ؟··

ـ يجرؤ أحد ·· ويقول ان هذا البائع هو ابن عز الدين الخولى وانه اغتصب منا كمبيالات ··· لا ··· لا يا عم ··· الا هذا ·· وأنا ما حاجتى الى الأرض ·· بعها يا سباعى ·· واسمع منى نصيحة هـذا الزمن يجب أن تعرف أنه غيـر الزمن الذى نعرفه والله وحده يعلم ما مصير الملاك فيه ··

ـ والله كلامك معقول ··

ـ بع أرضى الآن ·· وأنت اليوم تستطيع أن تحسن بيعها قبل أن تضيع منى

ـ وماذا ستعمل بالفلوس ·· تصرفها على اياهن ؟··

ـ أنا أحب المتعة ولكنى صاحب أولاد وقد فكرت جيدا ··

ـ ماذا ستفعل ؟··

ـ سأعطى الفلوس كلها للأمير ·· وان شئت أن تطمئن على سلمها أنت له ··

ـ وبعد ··

ـ سيضعهـا فى أحـد مشاريعه وسيعطينى مرتبا شـهريا اكبر من ريع الأرض خمس مرات وآخر السنة يعطينى بقية أرباحى ويبقى راس المال كما هو ·· وحتى يزداد اطمئنانك سيضع المال باسم وليد وسمية بالنصيب الشرعى ··

ـ وهو كذلك ··

ـ كم يستغرق بيع الأرض ؟··

ـ لو كان غيرى الذى يبيع لاستغرق بيعها شهورا قـد تصل الى سنوات أما أنا ففى مدى شهر واحد سأكون قـد بعت الأرض ··

وانفذ سباعى وعده وكان الأمر ميسورا بالنسبة اليه فقـد أمر كل مستأجر فى الأرض أن يشترى الأرض التى يزرعها ولم يبالغ فى الثمن وسارع المستأجرون يشترون فقد كانوا على ثقة أنهم لن يحصلوا على هـذه الأرض تطبيقا لقـانون الاصـلاح الزراعى الذى سمح للمالك أن يستبقى مائتى فدان اذا لم يكن له أبناء وثلاثمائة اذا كان أبا ·· وشعبان أب وأين مائة واربعون من ثلاثمائة ·· ولم يكن عسيرا على المستأجرين أن يحصلوا على أثمان الأرض فمن لم يكن منهم ميسورا كان يسيرا عليه أن يستدين المبلغ أو يتقاسم الأرض مع ميسور على أن يسدد هو ما عليه على مدى الأيام ··

باع سباعى الأرض جميعا وأبلغ شعبان بأن ثمن الأرض جنيعه معه ·· وقال شعبان فى فرحة :

ـ يعمر بيتك ·· ما رايك ·· الأمير هنا هذه الأيام سأدعوه للغداء عندك بعد غد وسيتم كل شيء أمامك ··

ـ وهو كذلك ·· يا مرحبا ··

وتم الأمر كما رتبه شعبان وأصبح شعبان لا يملك قيراطا واحدا من الأرض ··

★★★

كان سباعى قد انضم الى التنظيمات السياسية الجديدة ولهذا لم يكن عجيبا أن ترشحه الحكومة فى دائرة عز الدين الخولى ·· وبدأت الانتخابات ·· وطلب صلاح أن يأتى الى البلدة ليكون مع أبيه أثناء مروره بالدائرة · وأحب سباعى أن يشهد صلاح أباه والناس تهتف باسمه والخطب تلقى فى مديحه ·· وجاء صلاح ورأى عجبا ·· رأى أباه يمر بالدائرة ولكن محوطا دائما بالسلاح يشهره أبو سريع ورجاله ورأى فى نقاء صباه أن الناس تهتف ولكن العيون والوجوه لا تهتف ·· وسمع الخطب تلقى ولكن الخطباء يتكلمون مذعورين ·· فالأوجه منهم باسرة وعلى الجبين منهم حسرة وفى أصواتهم رنين المقهورين من الرجال فعل المغلوب على أمره لا اختيار له ··

قليلا ما بقى ·· وعجب أبوه ألا يفرح صلاح بما يرى واستبعد أن يكون قد وصل ببصيرته الى خفايا النفوس ·· وما كان يتصور أن الروح الشفيفة ترى من الأشياء ما تخطئه العيون ·· وحزر أن يكون أحد قد هجس فى أذن صلاح بجبروت أبيه ولكنه استبعد هذا الحزر أيضا فمن ذاك الذى يجرؤ على أن يقدم على هذه الهمسة ·· اذن فلماذا يطلب صلاح أن يعود الى القاهرة ؟··

ـ ورائى مذاكرة ··

ـ الا تريد أن تنتظر حتى تعرف النتيجة ؟٠٠

ـ المرشح الآخر واضح الضعف وأنا واثق من نجاحك ٠٠

وسافر صلاح عائدا الى القاهرة وفي نفسه الكثير مما لو أراد ان يعبر عنه لما استطاع ٠٠ انها مجرد مشاعر ٠٠ ان حاول أن يسأل سته أو عمه أو عمته فانهم جميعا سيطلبون اليه الا يفكر فى هذا الذى يغشى ظنونه وكيف لأم أو لأخ أو لأخت أن يشوهوا ابنهم أو اخاهم أمام ابنه ؟٠٠

طوى نفسه على ما بها وصمت ولكن نفسه أبت عليه هـذا الصمت ٠٠ قال لعمر :

ـ يا أخى سبحان الله ٠٠ هناك شىء فى البلدة لا أعرف كيف أقوله ٠٠

ـ مـاذا ؟٠٠

ـ الناس تخاف من أبى ٠٠

ـ وماذا فى هذا ؟٠٠

ـ الكلام معك لا يجدى ٠٠

وانتظر فرصة فى فسحة الظهيرة وذهب الى زوج عمتـه فقد أصبح هو وعمـر تلميذين فى المدرسة نفسهـا التى يعمـل ياسين مدرسا بها ٠ وكان صلاح يحس نحو ياسين بنوة صادقة يمازجها اعجاب شـديد ٠٠ فقـد استطاع ياسين أن يرسى فى نفسه حب الله والطمأنينة اليه بما علمه من الدين وما حببه فى

القراءة وفى كل المعانى التى أصبح صلاح يجد فيها سموا وقربا من السماء ·· كما استطاع أن يجعله يحب أن يذاكر لا للنجاح ولكن للعلم ·· وان كان صلاح فى سنه هذه الباكرة المتشوقة فى مطالع الشباب الأولى الى الغد لا يستطيع أن يقــدر فضل ياسين عليه بالعقل والمنطق الا أنه كان يشعر بهذا الفضل بنقاء هــذه السن التى تتمازج فيها الطفولة مع الشباب ··

ــ عم ياسين ·· اريدك فى كلمة ··

وكان ياسين فى حجرة المدرسين فقال :

ــ تعال ·· وقل ··

ــ لا ··· اذا سمحت ··· نتمشى فى الفناء ···

ورأى ياسين على وجــه الصبى الذى رباه خلجـــات لم يشهدها عليه قبل اليوم فقام اليه ·· وقال صلاح فى لجلجة :

ــ لا أعرف كيف أبدأ ولكن أنا لم أكمل الانتخابات مع أبى·

ــ أعرف ذلك وحسنا فعلت حتى لا يفوتك شىء من الدراسة·

ــ هذا ما قلته له ولكن ليس هذا ما جعلنى أترك المعــركة الانتخابية ··

وصمت ياسين قليلا ثم قال :

ــ الحق أنا دهشت لهذا الذى فعلته ·· فالشباب فى سنك يحبون هذه المعارك ويسعون اليها فما الذى جعلك تترك هــذه المتعة ؟··

ـ كـانوا يهتفون لأبى ويلقون له الخطب ويدقون الطبـل والزمار ··

ـ الم يسرك أن تجد أباك محبوبا ؟

ـ هذا هو ما أرجعنى ··

ـ الا تحب أن تراه محبوبا ·

ـ بل لا أتمنى شيئا فى حياتى قدر أن يكون أبى محبوبا ·

ـ الم يكن ما رأيته علامات الحب ؟··

ـ بل هو علامات حب ··

ـ اذن ؟··

ـ علامات غير صادقة ·· رأيت فى العيون خوفا ورأيت فى القلوب رعبا ·· لم يكن الحب هو الذى رأيته ··

وأطبق الصمت بين المتحـدثين تمـاما ·· أما ياسين فلا يدرى ماذا يقول ·· أيقول انه انقطع عن الذهاب الى البلدة حتى لا يسمع ما يصنعه نسيبه بالناس ·· أيروى لهذا الفتى الغض كيف جمع أرضه وهو لم يرث عن أبيه الا عشرها تقريبا وما ذنب صلاح فيما صنع أبوه ·· ولكن هو يعرف منزلته عند صلاح ولا يحب أن تهتز هذه المنزلة ·· من أجل مستقبل صلاح نفسه لاينبغى أن تهتز هذه المنزلة ·· واذا كذب عليه اليوم فهو فى غد سيعرف الحقيقة فكيف ستكون نظرته اليه ·· ربما يدرك ويقدر ولكن اذا أحس أن أستاذه وزوج عمته الذى كان منه دائما بمكان الوالد

يكذبه فمن يصدق اذن وأين ينشد الصدق اذا لم ينشده عند الانسان الذى يعتبره بغريزته الصافية اباه الروحى ·· ولماذا لم يوجه هذا السؤال الى عمته بل لماذا تحرى أن يأخذ فى هذا الحديث معه فى المدرسة وهو قادر دائما أن يحادثه فى البيت الذى يعتبره بيتا ثانيا له · أو لماذا لم يسأل جدته أو عمه ·· لقد خشى أن يحرج أحدا منهما والوحيد الذى ألقى اليه بثقته هو أنا ··

وتقبل صلاح الصمت الطويل متصورا أنه لم يستطع أن يحسن البيان عما يجيش بصدره ·· وأخيرا تكلم ياسين ··

ـ صلاح ·· اسمع ·· انك غير مسئول عن أبيك ··

ـ ولكنه مسئول عنى ··

ـ ولكنك غير مسئول عنه ··

ـ ولكن الناس تنسبنى اليه وأنا ابنه فعلا ··

ـ هذا يجعله مسئولا عن الانفاق عليك ولكن حين تخرج الى الحياة ستكون وحدك فى مواجهتها فهى لن تعرف الا أنت·· وانى أراك تحسن اعداد نفسك لمواجهتها وحينئذ لن يقول الناس من أبوه وانما سيتعاملون مع موقفك منهم ومع موقفك من الحياة ومن البشر ومن الانسانية ·· وحينئذ يصبح أبوك أيضا وهو غير مسئول عنك ·· انه لم يقصر فى شأنك ··

ـ وهل المسئولية مال فقط يا عمى ياسين أفندى ؟ ··

ـ انه اطمأن انك معى وانى احسن القيام بشأنك وانا لحسن حظه أو لحسن حظك مدرس ايضا والتعامل مع الناشئين هو صناعتى وليست صناعته ··

ـ اسمع يا عمى ياسين افندى انك أجبت أحسن اجابة وانى اشكرك ولقد قلت أكثر مما توقعت أن أسمعه منك ·· لن افتح هذا الموضوع معك مرة أخرى ··

ودق جرس المدرسة وذهب المدرس الى مكان المدرس والتلميذ الى مكان التلميذ ·

★★★

توفيت نبوية واتصل خليل باخيه واخبره :

ـ سأقيم المأتم وأنتظركم ··

ـ لا تقم المأتم ··

ـ ماذا ؟! كيف ؟!

ـ لقد طلبت أن يكون العزاء فيها أمام بيتى ··

ـ أمرها ·· أجىء فورا ··

ـ بل انتظر ··

ـ ماذا ؟!

ـ لقد طلبت أيضا أن تدفن الى جانب أبى فاعد مكانهـ وتعال لتتقبل العزاء ··



حدث انفصال سوريا وصدرت القوانين فى مصر بمصادرة شركات وأموال ٠٠ وهكذا فقد خليل اغلب أمواله فقد كان يضع كل ربحه من الطب فى الأسهم شأن اغلب الأطباء وكان رأيهم أنهم ليسوا فلاحين وأن عملهم فى العيادات وفى المستشفيات لن يسمح لهم أن يباشروا أرضهم حتى ولو كانوا من هواة الزراعة ٠٠ فاذا أرادوا أن يبنوا عمارات فهم قد رأوا ما حل بأصحاب العمارات من أموال فلم يكن أمامهم الا الأسهم تعطيهم عائدا دون أن تتطلب منهم مباشرة ودون أن تعرضهم لما يتعرض له أصحاب الأملاك كافة أرضا كانت هذه الأملاك أو كانت عمارات ٠

وهكذا لم يبق للدكتور خليل الا أوشال وضاع عليه جهد السنين الطويلة التى عاناها والتى كان يأمل أن يجد فيها موئلا حين يفكر ابنه وهدان فى الدراسة بالخارج أو حين يأتى اليوم وتتزوج ابنته نبوية ٠

سبحانك يا رب ٠٠ أهذه هى العدالة الاجتماعية ٠٠ أخى الذى جمع ماله بهذه الوسائل لا يمسسه شىء وأنا الذى جمعت مالى بما يرضيك أصاب بهذه المصيبة ولكنه سرعان ما نفض عن نفسه هذا الخاطر ٠٠ ان الله عادل والذى أنزل بى هذا الخراب بشر من البشر ٠٠ ولا يجوز لى أن أنفس على أخى انه لم يمس ٠٠ ولكنها هواجس نفسى وليس لى فيها حيلة ٠٠ الأمر لله من قبل ومن بعد ٠٠

أما فاطمة وعابدة فقد أصابتهما القوانين فى دخلهما ولم تصبهما فى رأس المال فقد كان بطبيعته أقل من الحد الأدنى الذى أعفاه القانون ٠٠

ولكن المصيبة الحقيقية هى تلك التى نزلت بعد أيام بقدرية زوجة سباعى الذى أصبح عضوا بمجلس الأمة ٠٠ فقد صدر قرار بمصادرة أموال أبناء المرحوم عز الدين الخولى وابنته ٠٠ ونزل القرار بسباعى فاجعة قاصفة ٠٠ وراح يطرق الأبواب بكل الوسائل التى يستطيعها ولكن هيهات ٠٠ لا سبيل ٠

ليس عجيبا أن يكون سباعى وحده هو الذى أحس بهول الكارثة فقدرية لم تكن تدرى عن الأرض شيئا وهى تعيش فى حمى زوجها وتعلم أن شيئا لن ينقصها وما كانت مطالبها تزيد عما تحتاجه حياة طيبة ليس فيها هوان وليس فيها أى بذخ ٠٠ أما المشاعر التى كان من المفروض أن تشترك فيها مع زوجها فهى لم تكن موجودة بينهما فى أى شىء حتى تجمع بينهما فى هذه الكارثة ٠٠ وبلطف من الله كانت قدرية تحس أن غنى ابنها صلاح لن يكون بمال أبيه وانما بعلمه الذى ظل متفوقا فيه دائما ٠ وهو فى هذا العام مقبل على امتحان الثانوية العامة وهى تريد أن يكون الصفاء مخيما على البيت حتى لا تتأثر نفس صلاح بأى عامل خارجى ٠٠

أما صلاح فلم يكن يعرف عن أرض أبيه شيئا وانما هو مشغول بالعلم وبالقراءة وبالشباب وبصداقاته فى المدرسة يريد أن ينسى ما وسعه الجهد ما رأى من خوف الطبالين والزمارين والهاتفين لأبيه وأصحاب الخطب التى كانوا يلقونها فى مدحه وقد وجد بغيته بالاقبال بالحياة على الحياة ٠٠ وألقى نفسه فى دفاعها يتعلمها منها ومما يكتب الكتاب ومما يؤلف الفنانون فى الموسيقى والرسم ٠٠ ومن التاريخ الذى كان يعتبره السيرة الذاتية للحياة كتبها عنها أبناء لها منهم الصادق ومنهم المتحمس

الذى يميل به تحمسه عن الصدق الى الهوى . وكـان يحلو له ان يرى تصارع هؤلاء المتحمسين ويرى كلا منهم وهو واقف على طرف قصى من أطراف الحقيقة وعرف صلاح التيـارات الدينية والتيارات الملحدة .

وناقش كل الآراء مع عمه ياسين وكان يقبل رأيه حينـا ويرفضه أحيانا ولكنه كان يحترم الرأى وصاحبه دائما .

وحين صودرت أموال أمه كان يدرك أن هذا لن يؤثر على حياته فى شىء ولم يكن يهمه الا أن تظل حياته كما هى حتى يتم تعليمه ثم يتفرغ بعد ذلك لمـا يحـاول أن ينسـاه ممـا رآه فى الانتخابات .. فموقفـه الذى اتخـذه بالتبـاعد عمـا رآه فى الانتخابات وعما استشفه من حديث ياسين لم يكن الموقف النهائى له وانما كان موقف الذى يؤجل المواجهـة الى اليوم الـذى يستطيع فيه أن يواجه وهـو قادر حتى تكون للمواجهة يومذاك قيمة ولا تكون مجرد احتجاج كاحتجاجات هيئة الأمم ..

ولم تكتف الأيام بهذه الصاعقة تنزلها بسباعى بل نزلت به صاعقة أخرى فقد صدر أمر بترحيل أبو سريع الى جبل الطور مع المجرمين الذى يخشى على الأمن منهم . وراح سباعى يبـذل مساعيه للافراج عنه وفى هذه المرة نجح سعيه وعاد أبو سريع الى البلدة وأمر سباعى فاستقبله الطبـل والزمر والفرح ولكن ما هى الا أيام لا تصـل الى الشهر حتى جاء النبـأ لسباعى أن أبو سريع قتل وهو عائد فى الليل من البندر . وحاول سباعى أن يتماسك وجعل سلام كبير مجرميـه بعـد أبو سريع ولـكن أين الوشل من الغمر وأين التلميذ من الأستاذ .

★★★

— ١٤ —

التحق صلاح بكلية الحقوق وقد انتسب اليهـا عن رغبة وليس بارغام من المجموع فقـد كان مجموعه يؤهله لأى كليـة يختارها .وهناك تعرف باصدقاء جدد الى جانب من التحق معـه بالكلية من زملاء دراسته الثـانوية ‥ وكانت معـه فى نفس السنة عديلة ٠ أعجب بها منذ وقعت عينه عليهـا ‥ وما أيسر ما عرف اسمها عديلة عبد الغنى الزاهد ٠ ولكن فى زحام الطلبة لم يكن يعرف عن أبيها شيئا الا اسمه أما وظيفته ‥ أما بلدته ‥ ولكن ماذا يهمنى من وظيفته أو بلدته ‥ وماذا يهمنى أيضا من عديلة ‥ انها جميلة وفقط ‥ وانا لست قادما الى هنا لأحب فللحب أمكنة أخرى ‥ ولكن البنت حلوة ‥ وحلاوتها جعلتنى أعرف اسمها والأمر عندى ينتهى الى هذا الحد ٠

ولننظر بعد ذلك فى أمر هذه الكلية التى تحمل اسما من اشرف أسماء التاريخ ‥ الحق وهو اسم من أسماء الله الحسنى ‥ وان من أسمى معانى الحيـاة أن يعرف الانسان الحق ‥ ويقف عنده ‥ ترى لو لم تحدث لى هذه الحادثة التافهة فى أول

سنة لى فى المدرسة الاعدادية اكنت انتسبت الى كلية للحقوق٠٠ من يدرى ٠٠ لماذا لا تريد هذه الحادثة أن تفارقنى ٠٠ أهى حادثة ٠٠ انها واقعة صغيرة ٠٠ ولكنها فى حياتى كانت حادثة بل هى الحادثة الوحيدة التى ارتكبتها لماذا لا تريد أن تبارحنى ٠٠ كان ياسين افندى يدرس لى القرآن. فى الليلة السابقة على هذه الحادثة وكان يشرح لى أن السرقة حرام وأن الذى يسرق يعاقبه الله ٠٠ وفى اليوم التالى كان علينا حصة حساب بعد الفسحة مباشرة ٠٠ وبدون أى مناسبة ذهبت الى الفصل قبل أن يدق جرس الحصة وجلست الى الدرج أعيد النظر فى واجب الحساب ووجدت زميلى عبد التواب تاركا قلم حبر على درجه ٠٠ القلم رخيص كل الرخص ٠٠ ولكننى قلت فى نفسى سأسرق هذا القلم وأرى ان كان الله سيعاقبنى أم لا ٠٠ وبفكرة السرقة وحدها اخذت القلم ٠٠ ربما لو كنت اخذته دون تفكير فى السرقة كان الأمر قدا ختلف وانما أنا استوليت عليه بقصد السرقة وأعلنت هذا لنفسى ٠ وبدأت أوضح بالقلم ارقام مسألة حسابية من مسائل الواجب ٠٠ أمر عجيب ٠٠ القلم جديد ٠٠ فما هذا الذى حدث٠٠ كيف انكسر دون أى ضغط منى عليه ثم انتثرت الحبر منه على الواجب كله حتى لم يبق فى الصفحة مكان لم ترتم عليه بقعة حبر ٠٠ اكل هذا الحبر كان فى هذا القلم الصغير ؟

عرفت الحياة بعد ذلك وعرفت أن الله لا يعاقب كل السارقين من الحياة فى الحياة وانما عقابهم فى الآخرة ٠٠ وجعلتنى هذه المعرفة أوقن أن الله يرعانى بعنايته وانه أنزل بى العقاب عند أول سرقة لى ٠٠ وهو وحده يعلم أى طريق كنت سأسير فيه لو لم يردعنى فى بادرتى الأولى ٠٠ أم ترى من حقى الآن أن أقول فى حادثتى الأولى والتى أصبحت أخيرة ٠

اهذا ما جعلنى اختار كلية الحقوق ؟٠٠ان الذين انتسبوا اليها معى عن اختيار قلة نادرة فاغلب زملائى فيما رمى بهم اليها المجموع ٠٠ لماذا ٠٠ لماذا يرفضون الالتحاق بكلية الحقوق ٠٠ اترانا اصبحنا فى زمن لا حقوق فيه ٠٠ هل ضاع فى زماننا حق الله وحق الوطن وحق الأسرة وحق الناس ؟٠٠ والا فما انصراف الشباب عن كلية الحقوق لا يلتحقون بها الا مرغمين ٠

ربما جعلنى هذا التفوق فى دراستى ٠٠ ولكن هل التفوق على الضعاف قوة ٠٠ ليس النجاح فى الكلية اذن هو المهم ٠٠ انما يوم اكون محاميا أو وكيلا للنيابة واتفوق على الظلم وعلى الجشع وعلى نفسى ٠٠ يومئــذ اســـتطيع أن ادعى لنفسى أننى تفوقت ٠



كان صلاح حريصا على أن يزور عمه كل فترة وكان يجد منه لقاء رحبا ٠ وقد حرص أن يذهب اليه بعــد القوانين التى اتت على الجانب الأكبر من مدخراته وفرح بعمه وهو يجده يقوم بعمله فى العيادة وكأن شيئا لم يكن ٠

ـ المصيبة يا صلاح ليست فى حجمها وانما فى الحجم الذى تحس به أنت وفى المكان الذى تنزلها فيه من نفسك ٠٠ وقــد علمتنى مهنتى أن أرى الناس ٠ وجدت بعض المرضى مصــابا بالأنفلونزا وهو مع ذلك هالع مرعوب كأنما هى كارثة الكوارث ٠٠ ووجدت آخــرين من ذوى العقول الناضجة والعــلم الواسع والايمان الراسخ مصابين بأمراض تجعل الموت اليهم اقرب من حبل الوريد ومع ذلك كنت اجدهم كالجبال الرواسى لا يحركهــا شىء بل وجدت من هو سعيد فرح أنه سيلاقى ربه ٠٠ فما المال

يا بنى .. انا الذى جئت به وأنا القادر على أن أجىء به مرة اخرى .. وانما قل لى مـا الذى جعلك تاتى وقـد اقتربت مـن امتحان الثانوية العامة .

ـ أحببت أن أطمئن عليك ..

ـ لفتة عظيمة منك هذه يا أبو صلاح .. انت مصمم على الحقوق ..

ـ ان شاء الله ..

ـ حين تعرف أساتذتك أخبـرنى عنهم فان لى أصـدقاء كثيرين فى الكلية ..

ـ وماذا أريد منهم ؟..

ـ أعرف همتك .. ولكن تعرفك بهم يجعلك تقصـد اليهم فى غير حرج اذا أردت شرح شىء أو التوسع فى موضوع على كل حال التعرف بالأساتذة ينفع ولا يضر ..

ـ فعلا .. حاضر سأخبرك بأسمائهم .. ولكن اين انا من أسمائهم وأنا لم امتحن بعد فى الثانوية العامة ؟..

ـ نجاحك مضمون وحتى اكون اكثر تاكدا تفضل بالذهاب الى المذاكرة .. ولا اراك الا بعد الامتحان .. وأرجوك بل آمرك أن تاتى الى فى اليوم الأخير من الامتحان لأطمئن ..

ـ حاضر ..

ـ قبل سفرك إلى الاسكندرية ..

ـ حاضر ٠٠

ولم يستطع صلاح أن يجد عمه فى العيادة يوم انتهى من الامتحان وسافر الى الاسكندرية وعرف النتيجة والتحق بالكلية وعرف أسماء الأساتذة وأحس انه تأخر عن زيارة عمه فقصد اليه بعد أسبوع من الدراسة كان مشغولا فيه بالتعرف على الحياة الجامعية الجديدة عليه ٠

ماذا يدبر القدر ٠٠ ما الذى اتى بعديلة هنا ٠٠ ومن هذا الذى بجانبها ؟٠٠ أيسلم عليها ٠٠ وكيف ؟٠٠ انها تعرفه فقد رأته مدة الأسبوع كله وهو يحملق فيهـا ٠٠ جمع أطراف شجاعته :

ـ مساء الخير يا آنسة عديلة ٠٠ انا زميلك صلاح سباعى وهدان ٠٠

ـ مساء الخير ٠٠ أهلا وسهلا ٠٠ هذا ابى ٠٠

وقال الأب وهو يحاول أن يرغم نفسه على تقبل الأوضاع الجديدة للشباب :

ـ أهلا يا بنى ٠٠ مساء الخير ٠٠

وأبى صلاح أن يفوت الفرصة :

ـ خيرا ٠٠ ماذا تفعلين هنا ؟٠٠

ـ أبى متعب قليلا ٠٠

ـ وهل البك الوالد من زبائن الدكتور خليل ؟ ٠٠

قال الأب فى اختصار من يريد أن ينهى الحديث :

ـ نعم ..

وقال صلاح فى دهشة :

ـ هذا شرف لنا كبير ..

ودهش الأب لحظة ثم قال :

ـ ما اسمك قلت ؟..

وابتسم صلاح وقال :

ـ نعم وهدان جدى هو والد الدكتور خليل وهدان ..

وابتسم الأب واحس بنوع من هدوء بعد بوادر ثورة من غضب :

ـ أهـلا يابنى ونعم الناس .. انا اعرف عنك منـذ بدا اشتغاله بمهنة الطب .. كنت انا موظفا صغيرا لا احتمـل اجر الدكاترة الكبار ودلنى عليه احد الزملاء .. ونعم الناس يابنى .

ـ سلامتك يا عمى ..

ـ والله يابنى الكبد .....

ووجـد صـلاح نفسه قد نجح نجـاحا باهرا فليس احب للمريض من أن يروى عن مرضه ويجد من يسمع له .

★★★

— ١٥ —

لو ترك سباعى مقتل أبو سريع يمر بدون أن يهتم به اهتمام الانسان على خاصة حياته لكان معنى هذا قاصما بالنسبة له ٠٠ فان هذا يحمل فى طواياه تهديدا مباشرا لسباعى ٠٠ والقاتل يعلنه انك لست عنا ببعيد نقتلك حين نشاء فحياة سباعى الان أصبحت اسهل شىء منالا ولم يكن سباعى يحب أن يموت ٠٠ والأمر الذى لا شك فيه ان مقتل أبو سريع ضياع لهيبة سباعى واعلان انه لم يصبح مرهوب الجانب فى المنطقة ٠

سارع سباعى الى المأمور :

ـ ارى انكم لم تهتموا بالبحث عن قتلة ابو سريع ٠٠

وكان المأمور يعرف كل شىء عن سباعى وصلة ابو سريع به فقال له فى جفاء صريح :

ـ هذا ليس من شأنك ٠٠

ـ انا عضو مجلس أمة ومن واجبى المحافظة على الأمن ·

ـ الظاهر ان سيادتك لا تعرف واجبات وظيفتك وحقوقها·

ـ نتعلم من سعادتك ··

ـ بل ويعلمك تلامذتى يا سيد سباعى فالذى أعرفه عن مدى ثقافة سيادتك يسمح لتلامذتى أن يعلموك ··

ـ انا عضو مجلس أمة ··

هذا لا يدل على ثقافة ··

ـ وابنى طالب فى كلية الحقوق ··

ـ وهذا أيضا لا يدل على أن سيادتك مثقف ·

ـ اذن ؟··

ـ اذن فيجب أن تعلم ان وظيفة عضو مجلس الأمة داخل مجلس الأمة فقط وليست خارجه ·· وان المحافظة على الأمن من اختصاص وزارة الداخلية فقط واذا رايت علينا اهمالا فتستطيع أن تتقدم بسؤال أو استجواب داخل مجلس الأمة ·· ولكن الصلة الرسمية بينى وبينك مقطوعة تماما ·

كارثة أخرى ، لم يكن رجال الداخلية يكلموته بهذا الجفاء وهو اشد ما يكون حاجة الى هؤلاء الرجال ·· وان يكن سباعى الذى طغى وتجبر قد صار متعودا أن يقول فلا يناقشه احد فان سباعى الذى قبل يد سليمان النواوى مازال فى داخله فان المجرم

البعيد عن الحق هو مع جبروته اشد الناس هلعا اذا واجهه الحق او واجهته السلطة ·· والرجل الذى ينـافقه الجبنـاء خوفا من بطشه هو اكثر الناس خبرة بالنفاق اذا اقتضى الأمر منه نفاقا ··

واحس سباعى من كلام المأمور المستخف كـل الاستخفاف بمنصبه فى البرلمان أن الحكومة تريد أن تؤمم الأجرام كما أممت الشركات والأرض ·· انها حكومة لا تريد احدا أن يسرق أو يقتل او يذل الناس غيرها هى ·· هى وحدها صاحبة الحق فى السرقة والقتل والاذلال ·· وهى لا تريد أن تراعى زملاءها من الأفراد والا فما لهذا المأمور يخاطبه بكل هذه الاستهانة ··

وهكذا لم يكن عجيبا أن يتصاغر سباعى فاذا هو قطيطة مذعورة وما أسرع ما قال :

ـ ومن قال يا سـعادة البك اننى قصـدت اليك بصـفة رسمية ·· ومن قال يا سعادة البك اننى لا أحب أن أتعلم منـك ما لا أعلمه ·· أنت راجـل سمعتك مثل المسك وحياة النبى ·· والمديرية كلها تحبك وتعمل لك ألف حساب ··

ـ ياسيدى كثر خيرك ·· مادام الأمر كذلك فانا اقول لك ما تشاء عن مقتل أبو سريع ·· أعـداء أبو سريع كثيرون وهو كما تعلم جيدا مجرم محترف ··

وضغط المأمور بقوة وهو يقول كلمة « جيـدا » واصابت الكلمة موضعها تماما من كيان سباعى واكمل المأمور حديثه :

ـ له عند الكثيرين ثارات وما اكثر ما قتل وما اكثر مـا سلب ونهب ولذلك فاننا فى هـذه الحـالات نعلم علم اليقين أن

البحث عن قاتله والعثور عليه أمر يوشك أن يكون مستحيلا ..
قد يكون القاتل احد رجاله انفسهم فالذى يقتل مرة يسهل عليه
ان يقتل لأقل سبب .. قد يكون أساء الى سلام مثلا فقتله سلام
او قد يكون سلام طامعا ان يحل محله فى رئاسة العصابة كما
حصل ..

وقال المأمور الجملة الأخيرة فى تؤدة وفى تفصيل واضح
فيه القصد الذى يهدف اليه وادرك سباعى الاشارة .. أولاد
العفريتة هؤلاء لا تخفى عليهم خافية ..

واكمل المأمور كلامه :

– ولهذا فقد قمنا بكل التحريات الممكنة ولم نصل لنتيجة
لأن الذين نسالهم واحد من ثلاثة اما لا يعرف شيئا وهذا طبعا
لن نأخذ منه حقا ولا باطلا ، واما يعرف وفرحان وهذا أيضا
سيبالغ فى اخفاء ما يعرفه ولا امل لنا فيه ، واما يعرف وخائف
من القاتل ان يقتله وهذا لا حيلة لنا معه .. فاذا كنت سيادتك
تعرف شيئا وتريد ان تمدنا به اكون شاكرا ..

– شيئا ... مثل ماذا يا حضرة المأمور ؟..

– مثل أبو سريع قتل من اغتصب مال من حرق غيط من هذه
المعلومات .. ستنفعنا كثيرا ..

يا نهار أسود من الخبر الكوبيا .. هذا الرجل يريدنى أن
اقول ان أبو سريع قتل متولى ابو منصور واحرق غيط حسن
ابن عبد الحميد أبو ديدة وهدد سليمان النواوى والسؤال التالى
من الذى استفاد من هذه الجرائم .. واروح انا فى ستين

مصيبة ٠٠ انا غلطان من الأول ان جئت لهذا الداهية ٠٠ تنبه سباعى الى ما يحيط به فوجد نفسه على شفا ان يكون متهما وهو الذى جاء ممتلئا بالكبر ليعلم الداخلية واجباتها ٠٠ قال للمأمور:

ـ وهل تظن سعادتك أننى أعرف شيئا واخفيه ؟

ـ من جهة أظن ٠٠ نعم أظن ولكن للأسف لا دليل عنـدى على الاطلاق ٠

ـ ومن أين هذا الظن ؟

ـ هذا عملنا يا سيد سباعى ٠٠ أن نبدأ بالظن ٠

مصيبة سوداء ٠٠ الرجل يهددنى تهديدا صريحا ٠٠ لا ٠٠ القيام أحسن حاجة أعملها الآن ٠

ـ الحمد لله يا سعادة المأمور انك تظن فقط ٠٠ وستعرف مع الأيام انك لست محقا فى ظنك ٠

ـ هذا ما أرجوه يا سيد سباعى ٠٠ لأن الظن فى أعضاء مجلس الأمة الذين رشحتهم الحكومة وعملت على انجاحهم أمر لا نحبه نحن العاملين فى نفس الحكومة ٠

ـ ربنا يديم المودة يا سعادة البك ٠

ـ هى دائمة طالما أنت مع القانون ولست ضده يا سباعى ٠

ـ استأذن أنا ٠٠

ـ مع ألف سلامة ٠٠

لا أمل له اذن أن يعرف قاتل أبو سريع من الجهات الرسمية ·· لم يبق أمامه الا تحريات الخاصة وقد بدأها فور عودته ·

ـ سلام ·· أليس بينك وبين أبو سريع عيش وملح ؟

ـ وعيش ودم وحياتك ياسعادة البك ·

ـ فكيف نترك قاتله بغير عقاب ؟

ـ اعرفه ويموت قبل أن تطرف عينه ··

ـ أليس من واجبنا نحن أن نعرفه ؟

ـ وماله ·· نبحث ··

ـ فى البلد هنـــا أولا ·· شف لى أين كــان حسن ابن عبد الحميد أبو ديدة وأين كان شاكر وعبد التواب أولاد متولى أبو منصور ·· وأين كان سليمان النواوى · طبعا هو لن يقتل بيده وانما اعرف لى من زاره أو هو زار من ·

ـ يا سعادة البك سليمان لا يخرج من الدار مطلقا ··

ـ اعرف لى من زاره ··

ـ أمرك ··

أما حسن أبو ديدة فهو منذ اغتصب منه سباعى الأرض لا يبرح دكانه يحاول أن يعوض بالعمل ما ضاع من ريع الأفدنة ·· وقد اشترى بثمن الأرض حجرة بجانبه وفتحها على الدكان فاتسع المكان وما أن بلغ ابنه الأكبر عبـد الحميـد السن التى

يستطيع فيها أن يتعلم الصنعة حتى أجلسه معه وراح يعلمه الخياطة بكل ما يملك من مهارة ·· كان الطفل ذكيا واستطاع أن يكون تلميذا موفقا لأبيه وفى نفس الوقت أرسل ناصح ابنه الأصغر مع ابنتيه الى الكتاب وحين أتم ناصح حفظ القران أرسل به الى الازهر الشريف حتى يستطيع أن يفى بنفقاته الى نهاية التعليم ·

وكان عبد الحميد الابن الأكبر جالسا فى الدكان حين جاء مرسى الشحات أحد رجال سلام ومعه قطعة قماش :

ـ أين ابوك يا ولد ؟

ـ ما ولد هذه ·· أكنت خادم ابيك ؟··

ـ ياسيدى ولا مؤاخذة ·· أين ابوك ياسى عبد الحميد ؟·

ـ ومن غير سى ·· عبد الحميد كفاية ·

ـ نهارك أسود ·· أين ابوك يا عبد الحميد ؟

ـ فى البيت ·· لماذا تريده ؟

ـ أما عجيبة هو ترزى وانت شايف فى يدى قطعة قماش فيم سأريده ·· ويقولون عنك ناصح ··

ـ ناصح اخى ··

ـ طيب ياسيدى ·· يقولون عنك فالح ·

ـ انا اسمى عبد الحميد ·

ـ اسمع يابنى لو قابلت كل الزبائن بهذه الصورة فالمؤكد انك انت وابوك واخوتك لن تجدوا قوت يومكم ·· يا اخى قل لى أين أبوك ؟

وخرج عبد الحميد من باب البيت المفتوح على الدكان ··

ـ حاسب على الوليد يا مرسى وهل هو قدك؟

ـ انت سامع الحديث ··

ـ من أوله ··

ـ ولماذا تأخرت ؟

ـ لم أتأخر وانما كانت فى يدى قطعة قماش انقعها ·· تحت أمرك ··

ـ القطعة هذه اشتريتها من البندر ·

ـ وماله ·· الف مبروك ··

ـ أريدها جلبابا على ذوقك ··

ـ أول مرة تأتى الى ·· طول عمرك تفصل عند عطية ·

ـ أتلف لى الجلباب الأخير فأقسمت الا اذهب اليه ·

ـ أمرك يا سيدى نفصلها لك ·· خذ مقاسه ياعبد الحميد·

ـ خذه أنت ··

ـ وانت لماذا لا تأخذه ؟

ـ يدى مشغولة ·

ـ أمرك ياسيدى ·· اصل الزمن انقلب ·· تفضل ياسى مرسى ··

وبدأ مرسى الحديث الذى جاء من أجله :

ـ المديرية مقلوبة على رجل ·

ـ لماذا كفى الله الشر ؟·

ـ من أجل مقتل ابو سريع ·

ـ هل عرفوا القاتل ؟

ـ ابدا ··

ـ عجيبة !··

ـ والأعجب ان كل حادثة مثل هذه نسمع كلاما ربما يكون اشاعات كاذبة انمـا نسمع ·· أما هـذه المرة ولا حتى سمعنا شيئا ·

ـ الناس ملهية فى مشاغلها ··

ـ طول عمرهم مشغولون ومع ذلك يحبون الكلام أكثر من عيونهم · فى هذه المرة لا حس ولا خبر ··

ـ عجيبة !··

ـ وانت كيف عرفت بقتله ؟··

ـ مع الناس ٠٠

ـ اين كنت ؟٠٠

ـ انت تعرف اننى لا اترك الدكان مطلقا ٠

ـ يعنى لم تسمع شيئا ٠٠

ـ نهائيا ٠٠

ـ طيب ياسيدى شكرا ٠٠ متى أستلم الجلباب ؟٠٠

ـ اعطنى يومين فقط ٠٠

ـ وهو كذلك ٠٠ السلام عليكم ٠٠

ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ٠٠

وانصرف مرسى والتفت عبد الحميد الى أبيه فى غيظ ٠٠

ـ تفصل له أيضا ؟٠٠

ـ يا ولد اعقل وافصل لأبيه أيضا ٠٠ وافصل لسلام اذا طلب منى ذلك ٠٠

ـ ليس هذا غريبا عليك مادمت ضعفت أمام تهديدهم ٠

ـ يا عبد الحميد يا ابنى انت تمزقنى بسكين بارد كلما قلت ذلك ٠٠ يا ابنى أنا ليس لى أمل فى الدنيا الا ان اكون أمامك وأمام اخوتك رجلا قويا ٠٠

ـ وهل يقبل القوى التهديد ؟

ـ عصبا عنـه اذا هدده من هو أقوى منه ·· مـاذا كنت تريدنى أن أفعل ؟

ـ اترك البلد ··

ـ وهل لو كنت تركتها كنت سأحمل فدادينى على كتفى ؟·

ـ لا أعرف ماذا كان يجب أن تفعل انما المهم ألا تقبل التهديد

ـ انت تعـرف اننى حاولت فاحـرقوا المحصـول وسرقوا البهائم وكانت الخطوة التالية أن يقتلونى ·

ـ ولا عار الذل ··

ـ ومن كان سيربيك انت واخوتك ·· اكنت اترككم تمدون ايديكم للحسنة ··

ـ كلما سمعت اسم سباعى زفت أو شفت أحدا من رجاله تركبنى عفاريت الدنيا ·

ـ مصيـرك تتغلب على العفاريت ·· انمـا يا ابنى خف الوطأة عنى · فلا شىء يقتل الأب مثل شعوره أن ابنه لايحترمه ·

ـ انا فقط أشفق عليك ·

ـ وهذه يا ابنى أدهى وأمر ·· حسبى الله ونعم الوكيل ·

★ ★ ★

حين ذهب مرسى الى سليمان النواوى قال له :

ـ كيف الصحة يا عم سليمان ؟

ـ أهلا مرسى ·· عجيبة ··

ـ ما العجيبة ؟··

ـ الزيارة ··

ـ قلت أطمئن على صحتك ··

ـ أى صحة التى تريد أن تطمئن عليها ·· انا أنتظر عزرائيل من سنوات ولم تحاول أن تطمئن على صحتى وعزرائيل هو الآخر تأخر فى الوصول ·· تأخر جدا يا مرسى يابنى ··

ـ وفيم العجلة ؟

ـ حتى يعفينى من رؤيتك ورؤية أمثالك ياسى مرسى ·· اسمع يابنى أنا عجزت نعم ولكن عقلى كما هو رغم كل ما شفته فى الحياة ·· أنت تريد أن تعرف منى معلومات عن قتل المجحوم أبو سريع ·· وطبعا لا انت تتصور ولا سيدك ولا سيد سيدك اننى سأقتله ·· لم يبق الا أن أسلط عليه ولو كنت أفكر هذا التفكير لفعلتها منذ استوليتم على أرضى ·· قم يا مرسى مع السلامة ولا تضيع وقتك وابحث عن غيرى ··

ـ كـــذا ··

ـ وهل هناك غير كذا ؟

ـ أمرك ·· سلام عليكم ·

★★★

كان شاكر وعبد التواب معا فى الغيط وقدم اليهما مرسى وراه شاكر مقبلا عليهما من بعيد فالتفت الى اخيه :

ـ يعنى اخبطه بالفاس واخلص ؟

ونظر عبد التواب وهو يقول :

ـ من ·· آه ·· يا أخى اعقل ·· انه قادم يظن أننا لنا يد فى قتل أبو سريع ·· اسكت انت ولا تتكلم ·

ـ لا أطيق ··

ـ اسكت انت وانا ساريحك ·

ـ السلام عليكم ··

وقال عبد التواب وهو يعمل فأسه فى الأرض وكأنه لا يراه:

ـ من غير سلام ابلغ سيدك اننا عندما قتل أبو سريع كنا فى فرح هنداوى الجلطـة انا واخى وأعطينـا النقوط على ملأ الناس والف شاهد يشهد على ذلك ·· مع السلامة يا مرسى ··

ـ ياسلام اهكذا من غير اخذ و لارد ؟

ـ وما لزوم الأخذ والرد وقـد عرفت ما كنت جائيـا من اجله ·· مع السلامة يا مرسى ··

ـ طيب ياسيدى وهو كذلك ··

★★★

أدرك سباعى أن لا فائدة ترجى من بحثه وانتهى به الأمر الى اليأس التام من العثور على القاتل . ولم يبق له الا أن يكون هو على اهبة تامة حذر الموت .. وتولاه شعور بالرعب لم يعرفه حياته كلها .. ان لحظة خوف واحدة يصغر امامها مال العالم كله وسلطان الدنيا بأسرها .. وخالق النفوس سبحانه هدد البشر بشىء من الخوف رحمة بعباده أن يبلوهم بالخوف كله فان شيئا منه أدهى من الموت ومن الفقر وكل عذابات الدنيا .. ترى أيكون سباعى بهذا الرعب الذى يتغشاه قد كفر عن جرائمه .. من يدرى .. فالله وحده هو الذى يملك الغفران وهو وحده الذى يعرف متى يستحق عبده المغفرة يمنحها له أو لا يستحقها فيحجبها عنه .

فكر سباعى أن يقيم أغلب وقته فى القاهرة ولكن ارتد عن هذا .. فالقاهرة واسعة وقد يقتل هناك فى أى لحظة .. ثم هو لا يستطيع أن يسير فى القاهرة وحوله هؤلاء الحراس الذين يصطنعهم هنا فى البلدة .. كل ما استطاع أن يفعله أن يضع على بابه أضعافا مضاعفة من المراتج وأن يزيد من عدد الخفراء .. وكان يظل طول ليله لا يغمض له جفن وتظل آلة الاضاءة تعمل لا تنى ولا تنطفىء بل لقد اشترى آلة أخرى لتضىء اذا أصاب العطب الآلة التى تعمل . ولا ينى طول الليل ينادى أسماء الخفراء الواحد بعد الآخر ليكون على ثقة أنهم أيقاظ فلا ينام الا حين يأتى الصباح .



— ١٦ —

السنوات الخضر من الشباب حين يكون للحب جنـاحان يحلق بهما الانسان فى سماوات سامقات عن الدنا ، قصيات عن الأرض ، رفيعات عن الدنية · هناك يحس الشباب أن الهوى لم يخلق الا له وأن الله سبحانه وتعالى يرسل به الى الأرض نفحات من الجنة تعين الانسان على مرور الحيـاة وعلى تكالب البشر وعلى اشتباك المصالح وعلى الكذب وعلى الغش وعلى خـداع الصديق وعلى حضيض الناس وانحيازهم الى خلق الحيـوان وتنكرهـم للانسانية التى جعلهم الله بها سادة الخلق أجمعين ·

بالحب يستطيع الانسان أن يكون سيد المخلوقات ·· بهذه الخفقات المجنحة العربيدة الآمنة ·· السعيدة القلقة ·· الباسمة المقطبة ·· الآملة اليائسة ·· الراغبة العازفة ·· المقـدمة عن رعونة المحجمة عن حذر ·

بالبحث عن الكلمات فاذا هى فى تيه عن المشاعر أغلقت عليهـا المسالك لا تدرى أين سبيلهـا الى الشفة للتعبير عن حب

صاحبها • باللعثمة واللسان فصيح ولكنه ينوء بما لا يطيق عن احمال الحب • فاذا به ـ وهو المنطلق القؤول ـ مقيد مكبول واذا النجوى صمت واذا الحديث نظرة واذا الحياة نشوة يطمسها الحديث المعلن ويشعشعها الفم الصموت •

عرفه صلاح وعرفته عديلة • بلمسة يد بابتسامة عند لقـاء في الصباح أو لقاء في المساء •• بكلمات يهمس على شـفاه صلاح ويقف بهن جلال على وجه عديلة •

انه الحب البكر لقلبين مخلوقين من نقـاء الماس دون صلابته ومن طهارة الملائكة ممتزجة بخلجات الانسان وشفافية البلور وقد سرى فيه نبض البشر ومن نور الأمل في المستقبل طليقا من قيود الزمن •• احس كل منهما عند صاحبه ما كانا به في غناء عن التصريح •• وكان الحديث يجرى بينهما رخاء وفي غير الحب كان الحديث •• لقد اتفق كل منهما مع الآخر دون قول منهما أن أي حديث هو أصغر من الحب يكنه كل منهما لحبيبه والمكان الذى يعرفه كل منهما لنفسه عند هواه •

سألته يوما :

ـ هل أنت اخوان أم شيوعى ؟

ـ أنا مصرى ••

ـ اذن فأنت من الأغلبية ••

ـ وأنت ؟••

ـ ماذا تظن ؟••

ـ مصرية ·· لحما ودما وقلبا وروحا وجسما ومشاعر وأخلاق وآراء ··

ـ اما ان يكون المصرى كذلك أو لا يكون ·

ـ ولكن ألم تفكر أن تنضم الى هؤلاء او أولئك لتعرف ما يفكر فيه كل من الجانبين ؟

ـ صادقت من هؤلاء ومن هؤلاء وحاول كل من الجانبين أن يضمنى اليه ورفضت ··

ـ لماذا ؟··

ـ لا اريد أن أحكم العالم ولا اريد حتى أن أحكم مصر بل ولا اريد أن احكم أحدا على الاطلاق ··

ـ فماذا تريد أن تكون ؟

ـ انسانا ··

ـ الست كذلك ؟··

ـ ليس بعد ·

ـ فما الانسان عندك ؟··

ـ أن أحب كل الناس حتى المخطئين ·· ولا أحقد ·· وأن أعطى اذا ملكت العطاء ولا أنتظر على العطاء شكرا لأن العطاء نفسه يمنح المعطاء سعادة لا يبثها فى القلب كل شكر العالمين ·

اريد أن أرى جمال الحياة وأحاول بكل جهدى أن أهون البؤس فيها على البائسين ·· أريد أن يظل ايمانى بالله وبالخلق وبالصدق وبالقيم ثابتا لا تزعزعه الأهوال التى اعلم ان الحياة ستواجهنى بها ·· أريد أخيرا ان أكون وأنا فى طريقى الى الله سعيدا أننى سالقاه ·· وأنت ··

لم يسمع جوابا ورأى الدموع تجرى مدرارا على وجنتيها وكانت توقفت عن السير فتوقف وهو يتحدث دون أن يسألها عما دعاها للوقوف ·· أسعده بكاؤها ومد يده ومسح دموعها فى هوادة محب مشفق ، وفى ضغط شاب فتى وابتسم وقال :

ـ لقد اجابت دموعك عنك انت تريدين أن تكوني مثلى ·



ــ ١٧ ــ

كان صلاح يؤدى امتحان النقل من السنة الثانية فى كلية الحقوق الى السنة الثالثة حين ضرب جرس التليفون فى بيتهم وقال خليل :

ــ صلاح أنت تذاكر هذه الأيام ؟··

ــ نعم ··

ــ اذن اسمع ·· آخر يوم امتحان تعال فأنا أريدك فى شىء مهم جداً ·

ــ خير يا عمى ··

ــ وهل تظن ان عمك يقدم لك الا خيرا ؟··

ــ ولكن سعادتك شغلتنى ··

ــ وهل تظن أنه لو كان هناك ما يشغل كنت طلبتك وانت تمتحن ·· حتى آخر امتحان عندكم ؟

ـ غـدا ٠٠

ـ اذن تعال غدا ٠٠٠ واطمئن ستفرح جدا ٠٠ أظن ذلك على الأقل ٠٠

وحين ذهب صلاح الى عمه فى اليوم التالى كانت اللهفـة تحيط به وكان عمه مشغولا بالكشف على مريض فازداد به القلق حتى اذا خرج المريض دخل دون استئذان وقال دون سلام :

ـ ماذا هناك يا عمى ؟٠٠

ـ العـد ٠٠

ـ ماذا هناك والنبى ؟٠٠

ـ اسمع ياسيدى ٠٠ لقد خطبت لك ٠٠

ـ ماذا ٠٠٠ من ؟٠٠

ـ هل أعرفها ؟٠٠٠

ـ وهل من الضرورى أن تعرفها ؟

ـ اسمع يا عمى ٠٠ انا خاطب فعـلا وانا أعرف حبك لى ولذلك أرجو أن تكون خطبتك بمجـــرد جس نبض ٠ انا خاطب فعلا ٠٠

ـ من ؟٠٠٠

ـ فتاة زميلتى ٠٠

ـ اسمها عديلة ؟٠٠

ـ ماذا ؟!٠٠

ـ وابنة عبد الغنى بك الزاهد ؟

ـ كيف عرفت يا عمى ؟٠٠

ـ الله يكسفك ٠٠ اعرف منهم ولا اعرف منك ٠٠

ـ ماذا تقول ؟ ٠٠

ـ لقد جاءت الى هنا وقالت ان كثيرا من الخطاب تقدموا لها ورفضتهم ولكن تقدم اليها اخيرا شاب مهندس لا عيب فيه وابوها يريد أن يزوجها منه على رغم انفها وطلبت الى أن أرجو اباها الا يرغمها ٠٠

ـ وماذا فعلت يا عمى ؟٠٠

ـ سألتها عن سبب الرفض فاصرت أن تصمت ولكنها اخيرا قالت انها لا تريد أن تخرج عن طاعة أبيها ولكنها لن تتزوج هذا المهندس ٠

ـ وبعد يا عمى وبعد ٠٠

ـ طلبت اليها أن تنتظر فى غرفة الاستقبال وطلبت اباها فى التليفون ٠٠ فاذا الرجل ينفجر ٠٠ الم تفكر يا دكتور لماذا اختارتك انت بالذات ؟٠٠ قلت اعتقد انها اختارتنى لأنها تعرف مكانتى عندك ٠٠ قال ياسيدى مكانتك على العين والراس ولا شك

فيها ولكن لها أعمام ولها أخوال وكان من الطبيعى أن تلجأ لواحد منهم ، وتنبهت الى هذه الحقيقة متأخرا يبدو اننا عائلة غبية يا ولد يا صلاح ، سألت عبد الغنى ماذا اذن ·· قال ابن أخيك يا سيدى ·· ماله ؟!· قال متحابان وهى لا تريد الزواج من أجل خاطره ·· ربك والحق يا ولد يا صلاح فرحت بك قلت وانت ما المانع عندك ·· قال المانع بسيط جدا أنه لم يتقدم اليها وهؤلاء العرسان تقدموا وكلهم شبان ممتازون وأحسنهم هـذا الشاب الأخير ·· ما رأيك ·· قلت له اذن يا عبد الغنى فأنا أخطب ابنتك عديلة لابن أخى صلاح ·· قال ألا تسأله ·· قلت انى أعرف الجواب ·· قال اذن وأنا قبلت ·· قل للبنت انها لن تتزوج الزفت المهندس ولا تقل لها شيئا عن الخطبة حتى تتم رسميا قلت حاضر ··

وقفز صلاح عن كرسيه وراح يقبل عمه ويحتضنه ويصيح ·· الله يطيل عمرك ·· الله يخليك ·· وقال خليل :

ـ والآن قل لى ماذا فعلت فى الامتحان ؟··

ـ قل لى انت أولا كيف عرفت أننى سأقبل هذه الخطبة ··

ـ عجيبة ·· ألا تعرف أن لى أصدقاء كثيرين بين أساتذتك؟

ـ وكيف عرفوا ؟··

ـ لماذا يعتقد الشاب منكم أن الشباب لم يعرف الا جيله وحده ·· كانوا هم ايضا شبابا وكانوا فى الجامعة ولا تفوتهم الفائتة ··

ـ للعجيبة اننى مع عديلة كل يوم ولم تقل شيئا عن هــذه الحكاية مطلقا ٠٠

ـ اولا ماذا تريدها أن تقول لك ٠٠ تعال اخطبنى ٠٠ ثانيا هى لا تعرف اننى خطبتها من ابيها ٠٠

ـ والبنت التى ترفض أن تذكر لىّ شيئا عن خطابها إليست جديرة بالحب ٠٠

ـ فعلا هى جديرة بالحب وبالاعجاب ولو اننا نحن أحببناها أولا والآن نفكر فى حيثيات الحب أليس كذلك يا نصف المتر ٠

ـ وهل تظن أن أبى سيقبل أن يخطب لى وأنا نصف متر ؟

ـ غصبا عنه ٠٠

ـ كيف ؟٠٠

ـ ان كان عليه هو يريد أن يزوجك من يوم دخولك الجامعة وأنا الذى كنت أستمهله ٠٠

ـ هل كلمته ؟٠٠

ـ وسيكون هنا غدا ٠٠ اذهب انت الآن الى والدتك واخبرها بكل شىء حتى لا تفاجأ ٠٠

وجاء سباعى وطلب الى أخيه خليل أن يشترى له الشبكة المناسبة وما هى الا أيام حتى تمت الخطوبة واعلنت واتفق الجميع على أن يكون الزواج بعد الليسانس مباشرة ٠٠ وكانت أم عديلة متوفاة ولهذا لم يكن عجيبا أن يهمس عبد الغنى فى اذن صلاح :

ـ تعال يا ابنى أريدك فى كلمتين ..

قام صلاح مع والد خطيبته وذهب به الى غرفة نومه :

ـ أعرف أن الكلام فى هذا سابق لأوانه الا أننى يابنى لا أحب القلق ..

ـ تحت أمرك يا عمى ..

ـ أنت ترى أنه ليس لى فى الدنيا الا عديلة .. أمها تركتها لى من خمس سنوات وأنا كبرت ولا أستطيع أن أعيش وحيدا . أيكون هناك أثقال عليك لو عشت معى فى هذا البيت ؟

ـ أنا تحت أمرك ولكن لى رجاء واحد عندك ..

ـ قله ....

ـ أن أساهم فى مصاريف البيت .

ـ فى بيتى ؟

ـ وهل ترضى لى أن أعيش عالة عليك ؟

ـ أنا قبلت ..

ـ وأنا قبلت ..

ـ على بركة الله .. اذن ربنا يهنيكم يا ابنى ان شاء الله .

★★★

— ١٨ —

كان صلاح قد انتهى من امتحان الليسانس ولكنه بقى فى القاهرة فى انتظار النتيجة ولم يسافر الى الاسكندرية ·· وكان يتهيأ للنزول ليذهب الى عديلة شأنه فى كل يوم حين دق جرس الباب واذا القادم عمه خليل ·· وفوجىء صلاح بعمه يحتضنه على الباب ويصيح :

ـ جيد جدا ·· ألف مبروك ··

وذهل صلاح :

ـ احقـا ؟··

ـ كلمنى الآن الدكتور عبد الوهاب رفاعى ·

ـ استاذ الجنائى ··

ـ ورئيس الكنترول ··

ـ وعديلة ؟ ..

ـ جيـد ..

ـ يعنى نجحت ..

وقبل أن يكملا الحـوار انفجـرت زغـرودة من حيث لم يحتسبا ومن حيث لم يتصورا أيضـا . لقد كانت قدرية بمسمع منهما .. والتفتا اليها فى فرح فاذا هى تطلق زغرودة أخـرى وترتمى على الكرسى . ويجرى اليها ابنها وعمه وتقول لاهثة :

ـ نذر على وأنا أوفيه .. ما فعلتها فى حياتى ولكنى كنت اتمرن عليها كل ليلة منذ دخلت الحضانة .. أنا. يابنى لا أحب الحياة الا من أجلك .. انت حياة حياتى ..

وراح صلاح يقبل يدها ووجهها ويشرب صادق دموعهـا المنهمرة .. وهى تقول وكأنها تكلم نفسها :

ـ لقد جئت مصر من أجلك وأنا لا أعتبر أن لى زوجا منـذ رزقنى الله بك .. لم أفكر فى شىء لنفسى طول حياتك لا فكرت فى فسحة ولا فى فستان ولا فى شىء حتى أرضى حين أخذوها منى قلت فى ستين داهية مادمت انت فالحا فى مدرسـتك .. ولـولا الماحك ما ذهبت عمرى الى السينما . التليفزيون لا ينفتح مادمت انت تذاكر . عمرى كله كان ينتظر هذه اللحظة فلا تعجبوا .. انها لحظة عمرى ، منذ اليوم أنا لا أريد شيئا . أنا ابنى معاه الليسانس وكل شىء بعد ذلك لا يساوى شيئا . حتى فى يوم فرحك لن أزغرد . فرحانة نعم ساكون . ولكنى لن ازغرد . هى

مرة · ولن تعود · ابنى معاه الليسانس · شربات يا أم السعد شربات يا هنية · شربات للعمارة كلها ·

ان حب الأم لابنها أمر ليس غريبا على صلاح ولا هو بغريب على خليل ولكن الذى دهشا له أن قدرية الصموت المستسلمة دائما الجادة تزخر بكل هذه المشاعر ولا تبين عنها الا الآن · تركيبة عجيبة هذا الانسان ·· حتى اقرب الناس اليه لا يعرف الأعماق الحقيقية التى ينطوى عليها كيانه ·

قال خليل :

ـ انت وعديلة عندى على العشاء الليلة · وكلم اباك ·

وقبل أن ينزل خليل قال له صلاح :

ـ نجيء لك فى العيادة أم فى البيت ؟

ـ على البيت مباشرة واذا تأخرت انتظرانى ·

ـ وهو كذلك ··

وسارع صلاح الى عديلة وبشرها بمشهد من أبيها ومن هناك طلب أباه فأخبره فاذا بصوت أبيه يأتيه فى التليفون :

ـ اسمع يا أستاذ ·· بعد غد انت وعروسك والبك والدها وعمك وزوجته وعمتك عابدة وزوجها وعمتك فاطمة وزوجها كلكم مدعوون مع أولاد الجميع على احتفال عندنا هنا فى البلد بمناسبة تخرجك ·· سامعنى ··

ـ خذ سعادتك كلم عمى عبد المغنى ٠٠

قبل الرجل الدعوة ونزل صلاح مع عديلة ولم ينتظرا أن يركبا السيارة وانما قبلها على السلم واذا هى تضربه على خده ضربة أقرب الى التربيت وهى تقول :

ـ يخرب عقلك ٠٠

ـ ماذا ؟ اذا كنت جيد فانا جدا ٠

ـ وما شأن الناس بهذا ؟

ـ انهم يحبون أن يروا خطيبا يبوس خطيبته ٠٠

ـ ولكنهم مع ذلك يدعون الغضب ٠

ـ وأنت ما الذى يهمك الحقيقة أم الادعاء ؟

ـ يبدو أنك ستكون أنت فى الادعاء فالغالب انك ستدخل النيابة ٠

ـ أو أكون أستاذا فى الكلية ٠

ـ ماذا تريد أنت ؟

ـ لم أحدد بعد ربما رفضت هذا وذاك وفكرت فى المحاماة٠

كانا قد ركبا السيارة وسارت بهما وقالت عديلة :

ـ الى أين ؟٠٠

ـ الى صاحب الفضل الأول على ٠٠

ـ الأستاذ ياسين ؟٠٠

ـ كان يجب أن يعرف قبل أبى ٠٠

★ ★ ★

— ١٩ —

كان سباعى حريصا دائما أن يحضر كل بقرة أو جاموسة عنده تلد • وتلك خصلة صحبته وصحبها منذ كان طفلا فى رعاية أبيه • وقد ظلت فرحته بولادة البهيمة التى كان يحسها وهو ذلك الطفل كما هى لم تتغير ، وان كان فى طفولته يساعد الكلاف الا أنه كف عن ذلك منذ شب عن الطوق وأصبح يشرف على زراعة أبيه ، وهو اليوم يضع كرسيا ويجلس قريبا من الـذين يقومون بتوليد البقرة أو الجاموسة حتى تتم الولادة فينصرف الى البيت• وكان فى جلسته هذه ينسى كل مشـاغله التى أصبحت حين كبر مخاوف ولا يفكر الا فى مولد العجل أو العجلة ان كانت الوالدة بقرة والفحل أو الفحلة ان كانت الوالدة جاموسة • وكانت البلدة كلها تعرف عنه هذه العادة • فعادات كل أبناء القرية معـروفة لبعضهم البعض ، فالقرية مهما تتسع انما هى بيت كبير كل انسان يعرف كل شىء عن كل انسان فيها فما الشأن اذا كانت تلك هى عادة أغنى أبناء القرية وكبير طغاة المنطقة •

وقدر الذين يجسون البهائم وهم أطباء الولادة بالقرية أن الجاموسة المفضلة عند سباعى ستلد فى نفس اليوم الذى حـدده للاحتفال بحصول ابنه على الليسانس •

وفكر سباعى قليلا ثم قال لمحدثه الذى سيقوم بتوليد الجاموسة :

ـ اذن فاسمع ‥ عليك أنت أن تظل الى جانبها لا تنتقل وحين تحس أن الموعد اقترب ارسل لى أجىء اليك ۰ وسيكون المدعوون كثيرين ولن يلتفت أحد لغيابى ۰

وحل يوم الاحتفال ولم تكن الجاموسة قد ولدت بعد وتقاطر المدعوون وكان سباعى لم يترك أحدا الا دعاه وفى المقدمة المحافظ ومدير الامن والمأمور وأعضاء مجلس الأمة والعمد والأعيان ۰ لقد أراد أن يعلن للجميع أن سباعى الذى لم ينل شهادة استطاع ابنه أن يحصل على الليسانس وبدرجة جيد جدا ۰ الوحيد الذى كان يجب أن يكون موجودا ولم يدع هو شعبان غما كان الى دعوته من سبيل فقد كان قد سافر الى صهره الأمير مع زوجته وأولاده وأقام هناك اقامة غير عائد ۰

وجاء المحتفل به ليرى القرية التى لم يكن رآها منذ كان صبيا يافعا سعى الى القرية فرحا ليشهد الانتخابات وانصرف عنها مصطحبا الحيرة والقلق مما رأى فى أعين الرجال وهم يحتفلون بأبيه ۰

جلس صلاح بين القوم وراح ينظر ‥ لم تكن عديلة معه فقد ذهبت هى وأمه وعماته الى مكان الحريم ، فالريف لم يعترف بعد باختلاط الجنسين ۰ رأى فى عيون القوم المدعوين وفى جباههم تعبيرا آخر غير الذى شهده من الناخبين ۰ هؤلاء لا يخافون أبدا ولكنهم أيضا خائفون ۰ كلهم مرتعد فى داخله تتضح الرعدة فى حديثه ‥ فالحوار يبدأ ولكنه ينقطع من تلقاء نفسه اذا أدى الى موضوع عام ۰ وكل حوار بين الرجال لابد أن يؤدى الى موضوع عام ‥ ولكل منهم رأى وربما كانوا متفقين جميعا على رأى ولكن هيهات لرأيهم أن يعلن أو يخرج من منطقة الهمس الداخلى الى منطقة الحديث ‥ أشدهم رعبا المحافظ ويليه مدير الأمن ويليه المأمور ۰ ويعجب صلاح كيف يحافظ على الأمن من لا أمن له ۰

كيف يكون مسـئولا عن أمن النـاس وهو نفسه غير آمن على نفسه · ويل للناس اذا خاف الناس · وويل للناس كل الويل اذا كانت نفوسهم تخاف من نفوسهم ·

أما اعضاء مجلس الامـة فهم يتلهون بكل حـديث فارغ ويختارون طريق الحديث حتى لا يصل بهم الى ما يرهبـون · وقد وجد بعضهم في الاجتماع فرصة ذهبية يقترب بها الى العمد والأعيان فـكل نائب فيهم ليس يدرى الانتخـابات القادمة متى تكون ·

حابل ونابل كما يقـول العرب وقـوم يجتمعون وينفضون يقولون الكثير من الكلام ولا يقولون شيئا · وصلاح ذاهل واع مندهش مفكر ·· لا يفوته شيء مما حوله ·· وتزيد قوة الملاحظة الما ورفضا · وخلا باستاذه ياسين :

ـ اهؤلاء ناس ·

ـ مجتمعك ·

ـ اكانوا كذلك دائما ·

ـ المجتمعات التى عرفتها حين كنت فى مثل سنك لم تكن متعرضة لما يتعرض له هؤلاء ·

ـ اليس فيهم رجل ·

ـ كلهم فى داخلهم رجال ولكن الارهاب يطمس الرجولة فالتمس لهم العذر ولا تعنف بهم فى حكمك ·

ـ ماذا تقول أنفسهم ·

ـ ان كان لك عند الكلب حاجة قل له يا سيدى

ـ وماذا لهم عند الكلب ·

ـ الحياة ·

ـ الموت خير منها ·

ـ نادر من يقول هذا أو يشعر به ·

ـ تهون الحياة مع الذل ·

ـ ومع ذلك فهم يرون انفسهم على كرامة

ـ من اين يأيتهم هذا الشعور ·

ـ كل منهم لبعض الناس عندهم حاجات ·

ـ فكلهم كلاب ·

ـ ويجدون من يقول لهم يا سيدى ·

وانقطع الحوار وهوم الصمت الذاهل فقد انطلقت فى اسماع الحاضرين ثلاث رصاصات ·· ارصاص والمحافظ والمدير والمأمور ورجال الامن جميعا هنا · ما هذا ·· ما هذا ·· ما هذا ·

وجاء الجواب ·· قتل سباعى ·· من القاتل ؟ ·· سلم نفسه · من هو ؟ ·· حسن عبد الحميد أبو ديدة ·· من حسن عبد الحميد أبو ديدة ؟ !

★★★

ـ ٢٠ ـ

كان كل ما عنى به المأمور ان يحافظ على حياة القاتل وقد تمكن من ذلك وصحبه الى المديرية · وانقلب الاحتفـال مأتما وتحقق بيت شوقى :

واذا نظـرت الى الحيـاة وجدتهـا
عرسـا اقيم عـلى جـوانب مـاتم

وكان أول ما صنعه صلاح بعد أن انفض معظم الناس أن يعجل بسفر خطيبته وابيها · وحين حاولت عـديلة البقـاء معه اصر على سفرها فى حسم لم تشهده منه قبل اليوم فاضطرت الى السفر ·

اقيم المأتم فى اليوم التالى · ولكن صلاح لم يكن يطيق انتظارا لقد رأى داخل الناس وكأنهم يقولون : غمة وانزاحت ·

انتحى جانبا بياسين :

ـ اتعرف شيئا ·

ـ اعرف كل شىء·ولا أعرف شيئا ·

ـ أتذكر حديثنا فى فناء المدرسة ٠

ـ وكيف أستطيع أن أنساه ٠

ـ الا تعرف على الأقل من استطيع أن اسأله ٠

ـ نعم اعرف ٠

ـ من ٠

ـ اكبراهل البلدة سنا ٠٠ عمك سليمان النواوى كان صديق جدك الصدوق ولن يكذبك ٠

★★★

روى سليمان النواوى كل شىء ٠ لم يخف عنه خافية وحين اتم حديثه قال صلاح :

ـ هل معك العقد الذى فرضه عليك ابى ٠

ونادى سليمان ابنه وامره أن يأتى بحقيبة اوراقه ٠٠ واخرج سليمان العقد دون جهد وقدمه الى صلاح ٠ ٠قراه ٠٠ ثم التفت الى الأبن وطلب منه ورقة بيضاء وصدع الابن باالطلب وقال سليمان :

ـ ماذا ستصنع ٠

ـ اكون انا ٠

ولم يزد ٠ وجاءت الورقة وراح صلاح يكتب وينقل بعض اشياء من العقد القديم ووقع الورقة ٠٠ واعطاها لسليمان وقام وهو يقول :

ـ سلام عليكم ٠

ـ انتظر ٠٠ اتعد ٠٠ ما هذا ٠

ـ لقد انتهت مهمتى ٠

ـ اذن فانتظر ربما كانت لى مهمة أنا الاخر ·

ـ أمرك ·· انتظر ·

وقرأ سليمان الورقة ووجدها عقد بيع من صلاح بالأفدنة الستة خالصة الثمن وفهم أنه كان ينقل الحدود من العقد الاول وجرت دمعتان على خدى سليمان وهو يقول :

ـ عجيبة ·

وقال صلاح : ما العجيبة ؟

ـ بل عجائب ·

ـ ماهى العجائب ·

ـ العجيبة الاولى أن عينى مازال فيها دموع ولم تحجرها السنون والثانية أن تكون أنت ابن سباعي وامك من أشرف الناس ولا شك انك ابنه فتلك عجيبة أما العجيبة الثالثة أن عزرائيل تأخر عنى طول هذه المدة وانا لا ادرى السبب · واليوم دريته ·

ـ والآن اتسمح لى ·

ـ بل انتظر ·

ـ ماذا ؟

ـ الفلوس التى ارسلها الى أبوك ·· لم امسها ·· كما هى وهى هنا فى هذه الحقيبة ·

ـ لا تلزمنى ·

ـ امثلى يقبل الصدقة ·

ـ استغفر الله وانما الذى قدرته قلته أنت الآن ·· لو كان ابى صنع هذا معك وأنت تاجر فربما كنت تاجرت بالمال وكسبت منه اما وقد فعل ما فعل بعد ان توقفت أنت عن التجارة فهذا معناه ان المال بقى عندك ولم يصنع شيئا ولا شك أن نفسك عزفت حتى

أن تشترى أرضا أخرى ·· فالريع الذى أخذه أبى من الأرض حقك فليكن ما أرسله لك من المال مقابل هذا الريع ·

ـ منطق قد يقبله غيرى ·· فقد كنت استطيع أن أشترى أرضا أخرى وكنت استطيع أن أجعل زميلا لى فى التجـارة أو واحدا ممن علمتهم التجارة يتاجر لى · فابقاء المال بلا عمل خطأ اخترته انا ولم يفرضه على أبوك · والأرض اليوم ثمنها أضعاف أضعاف ثمنها يوم اغتصبها منى أبوك ودفع فيها نصف الثمن · فاذا كنت تريدنى أن أقبل الأرض فاقبل أنت على الأقل ما دفعه لى أبوك قسرا · انه أرغمنى على البيع بثمن بخس فأذل كرامتى فلا ترغمنى انت على الشراء بلا ثمن وتزيد كرامتى ذلا ·

ـ لا والله فما الى هذا قصدت ·

ـ اذا أردت أن تريح ضميرك فارح ضمير الناس واطال الله عمرك وثبتك على ما أخذت به نفسك واعانك عليه فان من كان فى مثل عدلك سيلقى الكثير من المتاعب · خذ الفلوس ·

ـ أمرك ·· سلام عليكم ·

ـ مع الف سلامة !

★★★

ذهب صلاح الى بيت شاكر وكان ما صنعه صلاح مع سليمان النواوى قد ذاع فى القرية كلها فرحب به شاكر فقـد أحس أن القادم اليه انسان ·· قال صلاح :

ـ اين أخوك عبد التواب ·

ـ فى بيته ·

ـ ارسل اليه من يستدعيه ·

وجاء عبد التواب وبدأ صلاح :

ـ حياة الانسان لا يساويها شيء فى العـالم · ولكن الله وحده هو القادر على أن يبعث الحياة ولا يد لى فى هذا · وكل كلام للعزاء فى ابيكما لا يجدى فلا عوض عن الأب ولكننى انا اريد أن أعيش وبيدك أنت واخوك هذا أن تسمحا لى بان احس اننى فعلت ما يجب على أن افعـله فى اضعف صـورة فاستـطيع أن أعيش ·

وقال عبد التواب :

ـ ما المطلوب منا يا أستاذ ·

ـ لا شيء الا أن تقبلا هذا العقد ·

ـ وماذا فيه ·

ـ بيع باسمك واسم اخوتك منى للافدنة الخمسة التى كان يزرعها ابوكم ·

وبهت الأخوان وقال شاكر :

ـ والثمن ؟·

ـ العقد خالص والثمن وصل ·

وقال عبد التواب :

ـ لا يرد الكرامة الا لئيم ·· كان غيرك يستطيع أن يقول ما شأنى بما فعله ابى ويبقى الأرض ·

ـ ولكنى انا لا استطيع ·

ـ اذن فانت جدير بالشكر ·

ـ بل الشكر لكما أن قبلتما ·· السلام عليكم ·

ـ السلام ورحمة الله وبركاته ·

★★★

تردد كثيرا ثم جمع أطراف شجاعته وذهب الى عبد الحميد ابن حسن قاتل أبيه · وجزع الشاب وهو يراه واقفا على رأسه فى الدكان وانتفض واقفا وبيده المقص وهو يقول :

ـ ماذا تريد ؟

ـ رد السلام أولا ·

ـ ومن أين يأتى السلام ·

ـ يا أخى أبوك قاتل أبى وأنا الذى جئت اليك ·

ـ من اجل هذا أعجب ماذا تريد ·

ـ كل خير ان شاء الله ·

ـ لم نر الخير منكم مطلقا ·

ـ صدقت ولكن من يدرى ماذا فى داخل الأيام القادمة ·· رد السلام ·

ـ وعليكم السلام ·

ـ اقعد ·

ـ نقعد ·

ـ خذ هذا ·

ـ ما هذا ·

ـ أنا أعرف أنك تعلمت القراءة والكتابة ·

وقرأ عبد الحميد :

ـ أهذا معقول ·

ـ نعم ·

ـ ليس معى ثمنها ·

ـ الم تقرأ العقد ٠

ـ نعم ٠٠

ـ ماذا فيه عن الثمن ٠

ـ انه خالص ٠

ـ وهو خالص ٠

ـ هذا كثير ٠٠ هذا كثير ان ابى قتل اباك من اجل هـذه الأفدنة الثلاثة

ـ والان وقد مات ابى فلنترك الأيام تصنع ما عندها ٠٠ ويؤدى كل منا واجبه ٠

وانفجر عبد الحميد عن بكـاء عالى النحيب وراح صلاح يربت كتفه ٠٠ وقال عبد الحميد :

ـ انا الذى جعلته يصنع ما صنع ٠

ـ أنت ؟

ـ كنت دائما اعيره انه قبل الذل ٠٠ وكان يقول اننى اقتله كلما قلت له هـذا ٠٠ قال لى عنـدما زرته فى السجن : ثلاث رصاصات عن كل فدان رصاصة ٠٠ قل لاولادك جـدكم لم يكن ذليلا ٠

ـ هل وكلت عنه محاميا ٠

ـ لا ٠

ـ وهل معك اجر المحامى ؟

ـ سادبره ٠٠

ـ خذ هذا المبلغ وتسمع نصيحتى فى اختيار المحامى ام تظن اننى اغشك ٠

ـ اتقدم لى كل هذا وتغشنى ٠

ـ اذن فاذهب الى القاهرة ووكل الدكتور عبد الوهاب رفاعى أستاذ القانون الجنائى فى كلية الحقوق ٠٠ وهذا عنوان مكتبه ٠٠ سلام عليكم ٠

ـ نعم ٠٠ الآن السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

وبقى صلاح فى البلدة يعيد الى كل من اغتصب منه أبوه أرضا أرضه أو يعيدها لأولاده ، منهم من يرد الثمن ومنهم من لا يرد حتى اذا أطمأن أن لم تبق ارض لم تعد لصاحبها أو لورثته سافر الى القاهرة ٠

وهناك ذهب الى عمه الدكتور خليل ٠

ـ أهكذا تكون النهاية موت فى حظيرة بهائم ٠٠ فى أقذر مكان فى القرية بل ربما فى العالم ٠

ـ انه مجرد جسد ارتمى فى القذارة وعند الموت تستوى الامكنة ٠

ـ وربما كانت روحه قد صعدت وهى تحمل من القذارة أكثر مما ارتمى عليه جسده ٠

ـ هذا ليس شأنك ٠

ـ أنا ابنه ٠

ـ ولكنه أصبح الى من لا ينفع عنده مال ولا بنون ٠

وأكمل صلاح :

ـ الا من أتى الله بقلب سليم ٠٠ أو كان قلبه سليما ٠٠

ـ ومن هذا الذى يستطيع أن يطلع على القلوب ٠

ـ الذى لا ينفع عنده مال ولا بنون ٠

ـ فهذا شأنه اتركه له ·

ـ ياليتنى أستطيع ·

ـ أنت قمت بواجبك بعد وفاته ·

ـ ليس بعد ·

ـ ماذا بقى عليك ·

ـ هناك انسان سيقتل ·

ـ انه قاتل ·· هذا حق المجتمع ·

ـ وحقى ·· الست ولى الدم ·

ـ وماذا تريد أن تفعل ·

ـ رفعت الدعوى المدنية ·

ـ اتريد عوضا عن أبيك ·

ـ أريد الحق أن يأخذ مجراه ·

ـ لا أفهم شيئا ·

ـ لكل شىء وقته ·

ـ بلغنى ما فعلته فى البلد ·

ـ لم يبق أحد لم أرد حقه الا سعادتك ·

ـ أنا ليس لى حق ·

ـ سنعرف الآن ·

ـ كم بقى لك من أرض ·

ـ اربعون فدانا ·

ـ لا بأس ·

ـ ستصبح الآن عشرين تقريبا ·

ـ لمــاذا ؟

ـ أرضك وأرض جدتي

ـ أرضى أنا ٠

ـ نعم ٠

ـ مالها ٠

ـ لا بد أن اردها اليك ٠

ـ لماذا وهل بعتها قسرا أنا الآخر ٠

ـ لو لم يكن أبى على ما كان عليه ما بعت ارضك ٠

ـ أكذب لو قلت لك أن هذا كان تفكيرى ٠

ـ بل تريد أن تبقى فى ملكى أرضا ليست من حقى ٠

ـ كان أبوك لا يتأخر عن دفع الايجار وكنت أستطيع أن أبقي الأرض تحت اشرافه لو اردت ذلك ولكننى بعت الأرض بمحض اختيارى والثمن كان مناسبا لهذه الفترة ٠

ـ عمى أنت تعرف العبء الذى احس به على ضميرى ٠

ـ وواجبى أن أخففه عنك ولكن اتريد أنت تخفف من عبئك لأحمل أنا عبئا أشد ٠ أغشك ٠٠ أغش ابنى ٠٠ أى ضمير يقبل هذا ٠

ـ هل أنت واثق ٠

ـ كل الثقة ٠

ـ فأرض ستى اذن ٠

ـ هى الأخرى باعتها مختارة ٠

ـ لقد رأيت ستى وهى تعيش معك · كانت الحسرة تملأ نفسها الى يوم وفاتها لانها تركت البلد وبيتها ·· لا ·· لولا أبى وما فعله ما تركت ستى البلد ابدا ·

ـ وأفرض ·· ولكنها باعت الأرض باختيارها ·

ـ أهذا اختيار ·· انه الارغام ذاته ·· على كل حال أنا قررت أن أتنازل عن أرض ستى لعمتى عابدة وعمتى فاطمة ·

ـ وأنا قبلت عنهما هذا وقبلت هذا لك ، فان من واجبك أن تكرم عماتك ، وفعلا كلتاهما تحتاج الى ما يعينها على الحياة ، وأنا أعمل ما فى طاقتى وأحب لك أن تكون بجانبى فى رعايتهما ·

ـ اذن ·

ـ عندى توكيل منهما ·

ـ وهذا عقد بيع خالص الثمن لهما وقعه أو لا توقعه فهو على كل حال من صورة واحدة وكلف سعادتك واحدا من وكلاء المحامين ليبدأ فى اجراءات التسجيل ·

ـ لا أحب أن أمدحك ولكن لابد أن أقول لك انى فخور بك ·

ـ أرجو أن أشعر بنصف هذا الشعور نحو نفسى ·

ـ والآن ماذا ستعمل فى الزواج ·

ـ تأجل طبعا ·

ـ كيف ؟

ـ عديلة من نفسها قالت لا بد أن ننتظر سنة على الأقل وأبوها أيد هذا الرأى بحرارة ·

ـ وانت ما رأيك ·

ـ لو لم يقولا هذا ما كنت تزوجت الآن على أى حال ·

ـ نعم ولكن سنة كتير ·

ـ والله أعلم ·· ربما أكثر

ـ كيف ؟

ـ اتريدنى أنا أن أتزوج وأفرح وانجب أطفالا وهناك روح انسان متهم فى قتل أبى يتردد الأمر فيها بين البقاء والازهاق ··

ـ وانت ماذا بيدك ·

ـ لا أعرف ولكننى لا أتصور أن أتزوج والقضية منظورة ·

ـ صلاح ·· أتكون كرهت عديلة ·

ـ بل يزداد حبى لها كل يوم عن اليوم الذى فات ·

ـ عجيبة ·

ـ يا عمى حتى يتزوج الانسان ·· واقول الأنسان لا بد أن يكون مرتاح الضمير ·

ـ يابنى ضمير الانسان لا يشغله الا ما يصنعه الانسان نفسه ·

ـ أو ما يصنعه أبوه ·

ـ وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ·

ـ وهذا طائرى ياعمى ·

ـ اعانك الله على نفسك يا ابنى ·

ـ ادع لى ·

ـ لم تقل لى فيم انتويت أن تعمل ·

ـ عرض على عميد الحقوق أن أتقدم لأشغل وظيفة المعيد الخالية بالكلية فطلبت أن يمهلنى للعام القادم ·

ـ لماذا ؟

ـ لى غرض فى هذا ·

ـ الا تقوله لى ·

ـ ستعرفه فى حينه ·

ـ والنيابة ·

ـ هى أيضا لم أتقدم لها ·

ـ اذن فماذا تنوى ؟

ـ طلبت قيدى فى المحاماة ·

ـ ومتى ستحلف اليمين ·

ـ اظن بعد شهر تقريبا ٠

ـ واين تريد أن تتمرن ٠

ـ لم افكر بعد ٠

ـ أتحب ان تتمرن فى مكتب الدكتور عبد الوهاب ٠

ـ وكلهُ ابن حسن عن ابيه وليس معقولا أن اتمرن فى مكتب يترافع عن قاتل أبى ٠

ـ اذن اكلم الاستاذ عاطف البهنسى ٠

ـ عظيم ٠

ـ الآن ٠٠ أى مكتب يتمنى أن تتمرن عنده ٠٠ أنت جيد جدا يا استاذ ٠٠ وهل أنت قليل ٠٠ وعاطف من أعز أصدقائى ٠

ـ وهو كذلك ٠

★★★

— ٢١ —

انعقدت دائرة الجنايات ونظرت فى قضية حسن عبد الحميد وتحدد يوم المرافعة · وتكلم وكيل النيابة ولم يكن محتاجا لاسهاب فالقاتل معترف والجريمة تمت مع سبق الاصرار والترصد فهو يطالب باقصى العقوبة ·

وطلب صلاح أن يترافع بوصفه مدعيا بالحق المدنى فسمح له وبدأ المرافعة ·

ـ بسم الله الرحمن الرحيم أقولها يا حضرات المستشارين لا افتتاحا للمرافعة فحسب وانما لأتأمل مع المحكمة الموقرة لماذا اختار سبحانه الرحمة الرحيمة من بين اسمائه الحسنى جميعا ليجعل منها فاتحة الكتاب ·· أليس هذا الآن صفة الرحمة الرحيمة هى أحب الصفات الى الذات العلية · وقد جعل الله الانسان سيد المخلوقات لانه قبل أن يحمل الأمانة التى عرضها سبحانه على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان فنصبه سبحانه سيد خلقه أجمعين فانسان بلا رحمة ليس انسانا جديرا أن يحمل الأمانة ·· والأمانة يا حضرات المستشارين هى الاختيار الذى منحه الله للانسان حين

هداه النجدين وحرم سائر مخلوقاته من حق الاختيار هـــذا فالحيوان لا يستطيع أن يكون الا حيوانا والملائكة لا تستطيع أن تكون الا ملائكة ·· والانسان وحده هو الذى يستطيع أن يكون انسانا أو حيوانا أو ملاكا وبهذا الأختيار يصبح الأنسان أمـا شرا من الحيوان لأنه اختار أو خيـرا من المـلائكة لانه اختـار وكلاهما لا يمـلك الاختيـار ·· ونحـن فى عصر يا حضرات المستشارين فرض فيه على مصر أن يكون أبناؤها مسحوقين ··
وحينما يسحق الناس يسود الجبروت ويفشـو الظلم ويصبح النفاق هو الزعيم الأول ·· فنحن ننافق السلطات وننـافق من ينافقون السلطات وننافق الغش وننافق الخداع وننافق الرشوة وننافق التـدليس وننافق السرقة وننافق القتل وننافق الاعتـداء على الأعراض والأموال والكرامات وعزة الادمى ·· حضرات المستشارين اننا ننافق النفاق ذاته وابناء جيلى نشأوا فى هذه الفترة القاتمة السواد · وقد تبينا أمرنا بعـد أن ادلهم الخطب واشتدى ازمة تنفرجى قد أوشك ليلك بالبلج هكذا قال الشاعر وهو ينظر الى قوله سبحانه فان مع العسر يسرا ان مـع العسر يسرا والعسر هنا واحد لانه معرف بال واليسر مطلق لانه محرر من التعريف بحكمة الاله الاعظم ولهذا قـال المفسرون لا يغلب عسر واحد يسرين ابدا فلا عجب يا حضرات المستشارين أن يبدأ جيلنا نحن أن يصنع اليسر بيده مؤيدا بروح من بارىء النفوس وملهمها فجورها وتقواها · وقد آن لنا أن نتبع تقوانا بعـد أن أوغل عصرنا فى فجوره وخلق من المعاصى ما لم تعرفه البشرية ·

ان هذا المتهم الماثل أمامكم لم يقتـل أبى وانمـا قتل أبى نفسه ·· وان هذا المتهم حين أطلق الرصاص على أبى كان فى حالة دفاع شرعى عن الكرامة التى هى أغلى من النفس ·

أما ان أبى قتل نفسه فبما صنع من فظائع فى حق البشرية وبما قتل من أنفس وبما قهر من رجولة الرجـال وبمـا أذل من كرامات الانسان ·· وأى شىء أقسى على نفس الرجل من أن يكون ذليلا أمام زوجته وابنه وابنته ولا يملك لظالمه دفعا ولا لكرامته

صونا ٠٠ واذا قالت النيابة ان المتهم هو أيضـا قتل طلبت الى الزميل ممثل النيابة أن يرجع الى قول الله سبحانه انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ٠ وقد كان أبى وأشهد فى هذه الساحة المقدسة مفسدا فى الأرض فحق عليه عقاب ٠ واذا قيل أن العقاب من حق المجتمع ومن حق الله وحده انتقلت الى موقف المتهم مرتئيا أنه فعل فعله فى حـالة دفاع شرعى عن الكرامة التى هى أقدس عند الفلاح الأصيل من النفس ٠٠ تصوروا يا حضرات المستشارين حال هـذا المتهم مقهورا على ملأ الناس وأمام روحه وأبنائه وبناته مرغما على أن يبيع أرضا لا يريد بيعها ٠٠ ما نظرته الى نفسه والنظرات من حوله احتقار أو اشفاق وكلتا النظرتين أشد على الحر وقعـا من كل رصاص العالم فاذا قيل فمـا باله انتظر هذه السنوات فان الجواب حاضر من قريب ٠٠ لقد ذاق هو الذل مقهورا بالجبروت ولم يرد لأبنائه أن يذوقوا الذل مقهورين بالحاجة ٠ فلو أنه صنع صنيعه يوم أرغم على ترك أرضه لترك أطفاله صغارا يتكففون الناس ويمدون أيديهم فى طلب الجدوى فانتظر تزيده السنوات شعورا بالمهانة والذلة حتى استوى أبناؤه رجالا ٠٠ ودافع عن كرامته التى امتهنت طوال هذه السنين ٠

وأنا يا حضرات المستشارين لست أدعـو بقولى هـذا الى الفوضوية التى يتاح فيه للفرد أن يمسك القانون بيـديه يشرعه هو ويحاكم به الآخرين وينفذه أيضا فانه اذا حدث هذا وقعنـا فى هوة سحيقة ينهار فيها بنيان المجتمع كله الى حضيض ما له من قرار ٠٠ انما أحاول فقط أن أخفف عبء جريمة القتل العمد التى توجهها النيابة وهى المدافعة عن حق المجتمع الى قاتل أبى هذا ٠٠ ان هذا الذى أقول هو ما يعتمل فى نفسه دفعنى الى قوله محـاولة منى أن يكون العـدل أعظم من الأبوة وأن يكون حق الانسان فى الكرامة التى وهبهـا الله له مقدسـا قداسة الروح الانسانية ٠٠ وأن تكون مصر مسبح الدميين لا غابة ذئاب ٠

وبعد يا حضرات المستشارين فقـد يقـال أننى دافعت عن المتهم وجحدت حق الأبوة والله وحده يعلم كم أقدس الأبوة ولكن

تقديسى للحق ولكرامة الانسان أشد · واننى بهذا الذى أقوله اتوجه الى الذات العلية أن أكون قد كفرت بما قلت عن بعض ما صنع أبى بالانسان سيد المخلوقات وبما امتهن من كرامته وبما اذل من عزته وبما أزهق من أرواحه ·

وقد يقال شاب فى مقتبل العمر انتهز قتل أبيه فرصة ليصنع منها لنفسه شهرة · وانى أحتمل هذه القالة ولا أحتمل أن أكتم الحق نفاقا للمجتمع ولكننى أعلن منذ اليوم أننى أعتزل المحـاماة واقبل أى وظيفة قد تعرض على ·

ولو كنت وكيلا عن موكل فى هذه القضية ما قبلتها ولكننى يا حضرات المستشارين أنا وحدى الموكل والوكيل فلا وارث للحق المدنى غيرى ولهـذا رخصت لنفسى أن أتشرف بهـذا الدفاع فى ساحتكم القدسية ·

وأنهى مرافعتى يا حضرات السادة المستشارين بتنازلى عن الدعوى المدنية تاركا لاستاذى ممثل الدفاع البدء فى مرافعته ·

وأنهى صلاح كلامه واتجه الى باب الخـروج واذا عديلة التى كانت جالسة على مقعد بجانب المشى تقف واذا هى حين يقبل اليها تحتضنه وتقبله على ملأ الناس لأول مرة فى حياتهـا ويصحبها ويخرجان ·

ويبدأ الدفاع مرافعته :

ـ حضرات المستشارين ·· ليس لى بعد مرافعـة المدعى بالحق المدنى أى مرافعة أضيفها الا أن أخبر عدالة المحـكمة أن هذا الشاب الذى كان ماثلا أمامكم قد أرجع الحق الى كل من اغتصب أبوه منه حقا ·

وأنهى المرافعة بطلب البراءة ··

والتفت رئيس المحكمة الى ممثل النيابة :

ـ النيابة لها تعليق ··

ـ النيابة تفوض الأمر للمحكمة ·

★★★

ذهب صلاح مع عديلة الى منزل ابيهـا ولم يكن هنـــاك ما يستطيع واحد منهما أن يقوله · هو لايزال مرتعشا بالموقف الذى وقفه مقتنعا انه الحق · وهى مبهورة به ولم يطل بهمـــا الانفراد جاء أبوها وقالت عديلة :

ـ ما الذى أخرك ؟

ـ كنت أنتظر الحكم ··

ولم يسأل صلاح عن الحكم وقال لوالد خطيبته :

ـ لقد انتظرت هـذا اليوم لأسـألك هل مازلت مصرا أن تزوجنى ابنتك بعدما شهدت اليوم وبعـد أن بددت ثلثى الثروة التى تركها ابى والتى كانت فى حسبانك يوم قبلتنى · اما عديلة فقد أعلنت رأيها فى المحكمة فما رأيك أنت ·

ـ يا بنى انا لست مصرا ولكن لو تكن خاطبا لابنتى لسعيت اليك لكى تخطبها ·· انا اليوم أتشبث بك وفى تشبثى بك تشبث بالأمل فى مصر الغد ··

رقم الايداع بدار الكتب ٢٦٠٣/
الترقيم الدولى ٢ ـ ٠٩٠ ـ ١٧٢ ـ ٩٧٧

دار قبــاء للطباعة
بالمنطقة الصناعية C 1 أمام المجاورة السابعة
بمدينة العاشر من رمضان ـ ت : ٣٦٢٧٢٧

الناشر
مكتبة غريب
٢٥١ شارع كامل صدقي (الفجالة)
تليفون ٩٠٢١٠٧٩

الثمن ٢٥٠ قرشاً